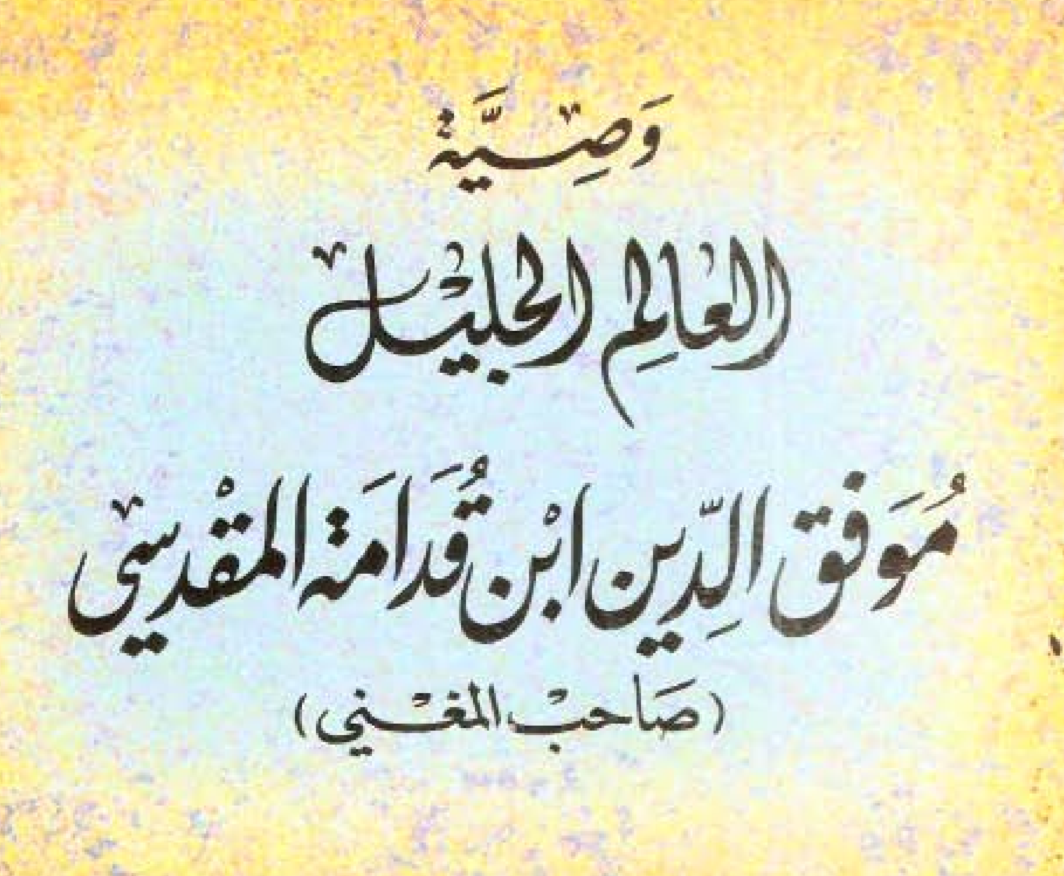


وَصِيَّة
العالم الجليل
مُوفق الدين ابن قُدامة المقدسي
(صاحب المغني)

تحقيق
محمد خير رمضان يوسف

دار ابن حزم



[المقدمة]

الحمد لله ذي الوجهِ الكريم، والفضلِ العظيم، والمَنِّ القديم. وصلى الله على سيدنا محمدٍ خاتم النبيِّين وآله أجمعين[1].

أما بعد:

فقد سألني بعضُ إخواني الصالحين أن أكتبَ له وصيَّةً، فامتنعتُ من ذلك، لعلمي أني غير مُسْتَوْصٍ في نفسي، ولا عاملٍ بما ينبغي[2]!

ثم بدا لي أن أُجيبه[3] إلى مسألتهِ، رجاءَ ثوابِ قضاءِ حاجةِ الأخِ المسلم، ودعائهِ لي، وأنْ يُجري لي أجراً إذا عَمِلَ بوصيتي، وأنْ أكونَ من الدالِّين على[4] الخير حين عَجِزْتُ عن عمله، لأكون[5] بدلالتي عليهِ كفاعلِه؛ والأعمالُ بالنيَّاتِ، وما توفيقي إلا باللَّهِ عليه توكلتُ وإليهِ أُنيبُ.

---

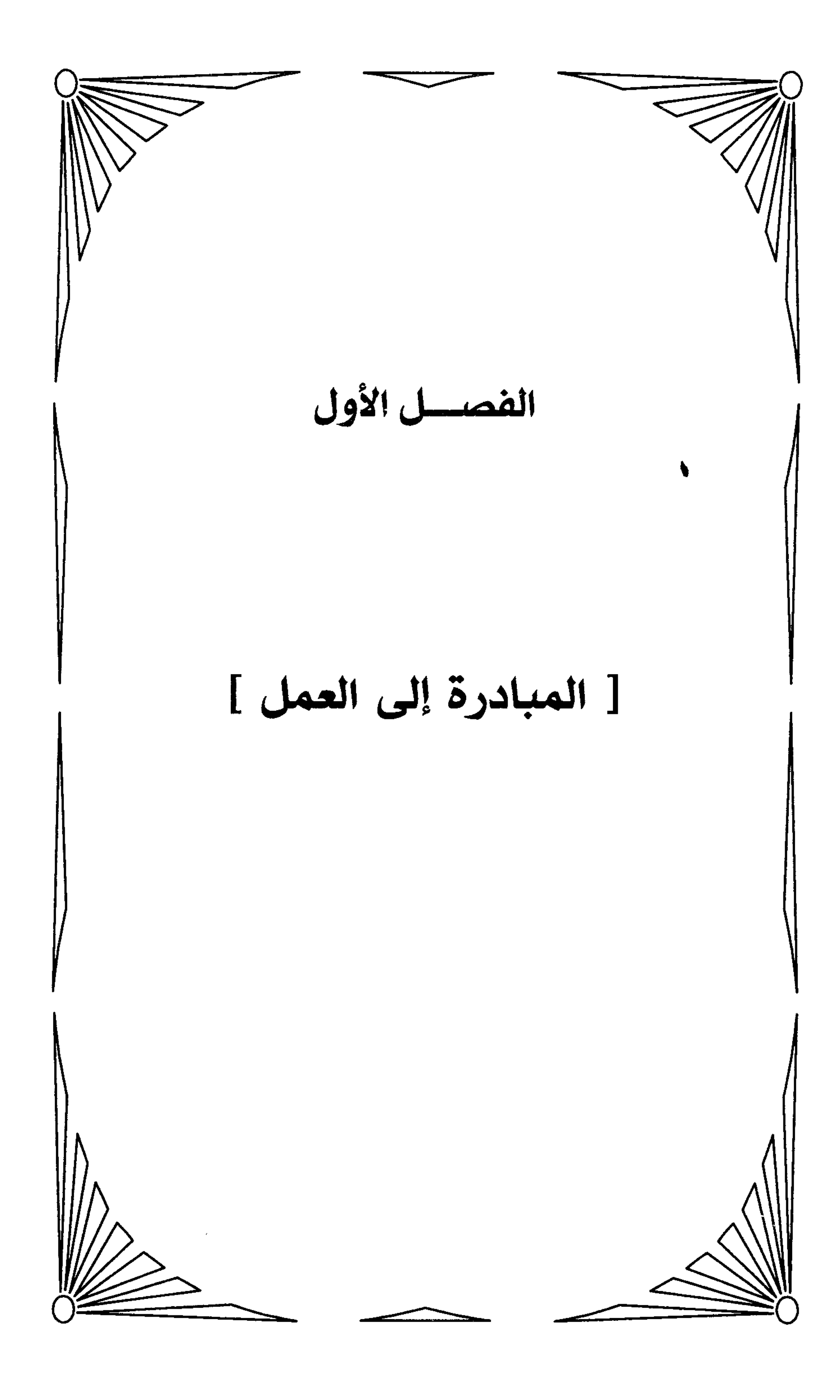
(١) قوله: «والمن القديم» إلى هنا، لم يرد في (ج).

(٢) «ولا عامل بما ينبغي» لم ترد في (ب)، (ج).

(٣) في (ب): ان اجبته.

(٤) في (أ): إلى.

(٥) في (ب) (ج): لأن أكون.



الفصـــل الأول

[المبادرة إلى العمل]

فأقولُ، وحسبنا اللَّهُ ونعمَ الوكيل:

[الدنيا فرصة فاغتنمها]

اعلَمْ رحمكَ اللَّهُ، أنَّ هذه الدنيا[1] مزرعةُ الآخرةِ، ومَتْجَرُ أرباحِها، ومَوْضِعُ تحصيل الزادِ منها[2] والبضائعِ الرابحةِ. بها برزَ السابقونَ، وفازَ المتَّقونَ، وأفلحَ الصادقونَ، ورَبِحَ العاملون، وخَسِرَ المبطلون.

وأن هذه الدارَ أمنيةُ أهلِ الجنَّةِ، وأهلِ النارِ!

قال اللَّهُ تعالى في أهلِ النارِ: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ﴾[3].

وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[4].

وقال ابنُ مسعودٍ فيما يرويهِ: **إن أرواحَ الشهداءِ كطيرٍ خُضْرٍ[5] تَسْرَحُ في الجنةِ حيثُ شاءتْ، ثم تأوي إلى قناديلَ مُعَلَّقَةٍ بالعرشِ، فبينما همْ كذلكَ اطَّلعَ[6] عليهم ربُّكَ اطِّلاعةً فقال: يا عبادي سَلوني**

---

(١) في (ب): هذه الحياة الدنيا.

(٢) لم ترد في (ب)، (ج).

(٣) سورة فاطر، الآية: ٣٧ وتكملتها: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾.
وورد في (ج): . . أهل الجنة والنار، قال الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ . .﴾.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٢٧.

(٥) في (ب): أخضر.

(٦) في (أ): إذ طلع.

ما شِئْتُمْ. فقالوا: يا ربَّنا نسأَلُكَ أنْ تَرُدَّ أرواحَنا في أجسادِنا، ثم تَرُدَّنا إلى الدنيا فنُقْتَلَ فيكَ مَرَّةً أخرىٰ.

فلمّا رأىٰ أنَّهم لا يَسألونَ إلا ذلك تُركوا[1]!

واعلم يا أخي ـ رحمَك الله ـ أنَّ اللَّهَ تعالى قد عَلِمَ أنَّهم يَسألونَ ذلك، وأنَّهم لا يُرَدُّون إلى الدنيا، وإنما أرادَ إعلامَ المؤمنين الذين في الدنيا أن أمنيتهم في الجنَّةِ القتلُ في سبيلِهِ؛ ليرَغِّبَهُم في ذلك.

وقال إبراهيمُ التَّيْمي[2] ـ رحمه الله ـ: مثلتُ نفسي في الجنَّةِ آكلُ من ثمارِها، وأعانقُ أبكارَها، وأتمتَّع بنعيمها، فقلتُ لنفسي: يا نفسُ[3]، أيَّ شيءٍ تَتمنَّيْن؟ فقالتْ: أُرَدُّ إلى الدنيا فأزدادُ من العملِ الذي نلتُ به هذا. ثم مثلتُ نفسي في النارِ أُحْرَقُ بجحيمها، وأَجْرَعُ

---

(١) رواه بألفاظ متقاربة مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب في بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون ٦/ ٣٨، والترمذي في جامعه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة آل عمران ٥/ ٢٣١ رقم ٣٠١١ وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه في سننه، كتاب الجهاد، باب فضل الشهادة في سبيل الله ٢/ ٩٣٦ رقم ٢٨٠١.

وفيه أن مسروقاً قال: سألنا عبد الله عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٦٩] قال: أما إنّا قد سألنا عن ذلك فقال: أرواحهم في جوف طير خضر...

قال الإمام النووي: وهذا الحديث مرفوع، لقوله: إنا قد سألنا عن ذلك فقال، يعني النبي ﷺ. وقال: فيه بيان أن الجنة مخلوقة موجودة، وهو مذهب أهل السنة، وهي التي أُهبط منها آدم، وهي التي ينعم فيها المؤمنون في الآخرة. هذا إجماع أهل السنة. صحيح مسلم بشرح النووي ١٣/ ٣١.

(٢) هو إبراهيم بن يزيد التيمي، تيم الرباب، أبو أسماء. الإمام، القدوة، الفقيه، عابد الكوفة. وكان أبوه يزيد من أئمة الكوفة أيضاً. قال الإمام الذهبي: كان شاباً صالحاً، قانتاً لله، عالماً، فقيهاً، كبير القدر، واعظاً. وقال الأعمش: كان إذا سجد كأنه جذْم حائط، ينزل على ظهره العصافير! يقال: قتله الحجاج، وقيل: بل مات في حبسه سنة ٩٢هـ ولم يبلغ من العمر أربعين سنة. سير أعلام النبلاء ٥/ ٦٠.

(٣) في (ج): وأتنعَّم بنعيمها، فقلت: أي شيء...

من حميمها[١]، وأَطعم من زقُّومها[٢]، فقلت لنفسي: أيَّ شيءٍ تَتمنَّيْنَ؟ فقالت: أُرَدُّ إلى الدنيا فأعملُ عملاً أتخلَّصُ به من هذا. فقلتُ لنفسي: يا نفسُ فأنت في الأمنيةِ فاعملي[٣]!

وكان بعضُ السَّلفِ قد حفر لنفسهِ قبراً، فإذا فَتَرَ من العملِ[٤] نزلَ في قبرهِ، فتمدَّدَ في لحْدِه ثم قال: يا نفسي، قدِّري أنكِ قد متِّ وصرتِ في لحدكِ[٥]، أيَّ شيءٍ كنتِ تتمنَّيْن؟ قالت: أُرَدُّ إلى الدنيا فأعملُ فيها[٦] صالحاً. فيقولُ لها: قد بلغتِ أمنيتكِ، فقومي فاعملي صالحاً!

واعلم رحمك الله، أن أهلَ[٧] القبور أمنيةُ أحدِهم أن يُسَبِّح تسبيحةً تزيدُ في حسناتهِ، أو يقدرَ على توبةٍ[٨] من بعضِ سيئاتهِ، أو ركعةٍ ترفعُ في درجاتهِ.

وقد رَوَيْنا أن رجلاً ركعَ ركعتين إلى جانبِ قبرٍ، ثم اتَّكأَ عليهِ، فأغفىٰ، فرأىٰ صاحبَ القبرِ في المنامِ يقول: تنحَّ عني فقد آذيتني؛ واللَّهِ إنَّ هاتينِ[٩] الركعتينِ اللتينِ ركعتَهما لو كانتا لي كانتا أحبَّ إليَّ من الدنيا وما فيها؛ إنكم تعملونَ ولا تعلمونَ، ونحنُ نعلمُ ولا نعملُ!

---

(١) جرعه: بلعه. ولم ترد هذه الجملة في (ب).

(٢) شجرة الزقوم عبارة عن أطعمة كريهة في النار، ومنه استعير: زقم فلان وتزقَّم: إذا ابتلع شيئاً كريهاً. المفردات في غريب القرآن، مادة زقم، ص **٢١٣**.

(٣) حلية الأولياء ٤/**٢١١**، محاسبة النفس **٣٤** رقم **١٠**، التخويف من النار ص **٤٧**.

(٤) في (ج): فإذا فتر عن العبادة.

(٥) في (أ): يا نفس قدري أني قد مت وصرت في لحدي. وفي (ج): وقبرت في لحدك.

(٦) لم ترد في (ب)، (ج).

(٧) في (ب): هذا!

(٨) في (ب): توبة تكفِّر.

(٩) في (ب): هذين. وفي (ج): هاتيك الركعتين التي ركعتها لو كن لي!

فاغتنمْ رحمكَ اللَّهُ حياتَكَ النفيسةَ، واحتفظْ بأوقاتِكَ العزيزةِ.

واعلم أن مدَّةَ حياتِكَ محدودةٌ، وأنفاسَكَ معدودةٌ، فكلُّ نَفَسٍ يَنقُصُ[1] به جزءٌ منكَ، والعمرُ كلُّه قصيرٌ، والباقي منه هو اليسيرُ. وكلُّ جزءٍ منه جوهرةٌ نفيسةٌ لا عِدَّ لها ولا خَلَفَ منها[2]. فإنَّ بهذه الحياةِ اليسيرةِ[3] خلودَ الأبدِ في النعيمِ، أو العذابَ[4] الأليمَ.

وإذا عادلتَ هذه الحياةَ بخلودِ الأبدِ؛ علمتَ أن كلَّ نَفَسٍ يَعْدِلُ[5] أكثرَ من ألفِ ألفِ ألفِ عام في نعيمٍ لا حصرَ له[6]، أو خلافِ ذلك. وما كان هكذا فلا قيمةَ له.

فلا تضيِّعْ جواهرَ عمرِكَ النفيسةَ بغيرِ عملٍ، ولا تُذْهِبْها بغيرِ عِوَضٍ، واجتهدْ أن لا يخلوَ نَفَسٌ من أنفاسِكَ إلاَّ في عملِ طاعةٍ[7]، أو قُرْبَةٍ تتقرَّبُ بها، فإنَّكَ لو كانتْ معكَ جوهرةٌ من جواهرِ الدنيا فضاعتْ منك؛ لحزنتَ عليها حزناً شديداً، بل لو ضاعَ منك دينارٌ[8] لساءكَ، فكيف تفرِّطُ في ساعاتك[9] وأوقاتِكَ؟ وكيفَ لا تحزَنُ على عمرِكَ الذاهبِ بغيرِ عِوَضٍ؟!

---

(١) في (أ): تنفس.

(٢) لا عِدَّ لها: أي لا نظير لها، ولا خَلَف منها: أي لاعوض ولا بديل منها. وفي (أ): ولا خلف مثلها.

(٣) في (ج): الحياة الدنيا اليسيرة.

(٤) في (أ): والعذاب.

(٥) في (ب): يعدلهن! وفي (ج): نفس من أنفاسك يعدل.

(٦) في (أ): يعدل ألف ألف ألف عام في نعيم لا خطر له (حيث شطب فيه على كلمتي: أكثر من).

(٧) في (ب): الطاعة. وسقط من قوله: «ولا تذهبها» حتى هنا من (ج).

(٨) في (ب): ديناراً.

(٩) في (ب): ساعتك. وفي (ج): في ساعات أوقاتك.

[مثال الدنيا.. وأهلها]

وإنني خطرَ لي أنْ أُمثِّلَ هذه الدنيا وأهلَها كمثلِ أهلِ سفينةٍ ألقتهمُ الريحُ إلى جزيرةٍ في البحرِ فيها معادنُ الجواهرِ كلِّها، من الياقوتِ والزُّمُرُّدِ والزَّبَرْجَدِ واللؤلؤ والمَرْجان والدُّرِّ[1]، وما دونَ ذلك إلى العقيقِ والشِّيح[2]، ثم بعد ذلك زَلَف[3] وحجارةٌ لا قيمةَ لها، وفيها أنهارٌ وبساتينُ[4]، وفي الجزيرة حِمَى المَلِك، قد حَدَّ له حدوداً، وأحاطَ[5] عليه حائطاً فيه خزائنُ المَلِكِ، وإماءٌ، ووِلْدانٌ[6].

فنزلَ أهلُ السفينةِ في الجزيرةِ، وقيلَ لهم: إن مقامَكمْ بها[7] يومٌ وليلةٌ، فاغتنموا مدتكم القصيرةَ فيما أمكنكم من أخذِ هذه الجواهرِ الكثيرةِ.

١ ـ فأمّا الحازمونَ فأسرعوا إلى تلك الجواهرِ يتنقَّوْن[8] منها ويحملونهُ إلى مخازنهم في السفينةِ، ويَجِدُّون ويجتهدون.

فإذا تعبوا تذكَّروا قَدْرَ تلك الجواهرِ التي يحصِّلونها، وكثرةَ قيمتِها، وقلَّةَ مُقامِهم في تلكَ الجزيرةِ، وأنّهم عن قليلٍ راحلون منها لا يَقْدِرون على الازديادِ؛ فرفضوا الراحةَ، وتركوا الدَّعَةَ، وأقبلوا على الجِدِّ والاجتهاد.

---

(١) في (أ): والزبرجد والبلور والمرجان والدر واللؤلؤ. ولم ترد «الدر» في (ج).

(٢) الشيح: نبت سهلي رائحته طيبة قوية، وهو كثير الأنواع، ترعاه الماشية. وفي (أ): السيح. وهو ـ بفتح السين ـ: الكساء المخطط. وفي (ج): «والشبح»، ولعلها بالجيم، والشبجة: المتوسطة بين الخيار والرذال.

(٣) لم ترد الكلمة في (ب). وفي (ج): بعد زلف، وهي جمع زلفة، وهي الصَّحْفة، والمرآة، والصخرة الملساء.

(٤) لم ترد هذه العبارة في (ج).

(٥) في (أ): حدود وحاط. وفي (ج): أحاط عليه بما يخط؟

(٦) في (ج): وفيه خزائن الملك وإمائه وولدانه.

(٧) في (ج): وقيل لهم: مقامكم فيها.

(٨) في (ج): ينقلون.

وإن عَرَضَ لهم النومُ تذكَّروا ذلك فذهبَ عنهم لذَّةُ النوم والكرىٰ وتمثَّلوا[(١)]: عند الصَّباحِ يَحْمَدُ القومُ السُّرىٰ[(٢)].

٢ ـ وأمّا آخرونَ، فأخذوا من الجواهرِ شيئاً، واستراحوا في أوقاتِ الراحةَ، وناموا وقتَ النومِ.

٣ ـ وأمّا فرقةٌ أخرىٰ فلم يتعرَّضوا[(٣)] للجواهرِ أصلاً، وآثروا النومَ والراحةَ والتفرُّجَ.

أ ـ ومنهم قومٌ أقبلوا على بناءِ المساكنِ والقصورِ والدُّورِ.

ب ـ وقومٌ أقبلوا على جمعِ الزَّلَفِ والصَّدَفِ والحجارةِ والشَّقَفِ[(٤)].

جـ ـ وقومٌ أقبلوا على اللعبِ والتُّرَّهاتِ[(٥)]، وتشاغلوا باللذاتِ وسماعِ الحكاياتِ المطرباتِ[(٦)]، وقالوا: ذَرَّةٌ منقودةٌ خيرٌ من دُرَّةٍ موعودةٍ.

والفرقةُ الثالثةُ عَدَلوا إلى حِمى المَلِك، وطافوا به، فلم يجدوا له باباً، ففتحوا لهم[(٧)] فيه ثَلْماً واقتحموه[(٨)]، ففتحوا خزائنَ المَلِك، وكسروا أبوابَها، وانتهبوا منها، وعبثوا بجواري[(٩)] المَلِك والوِلْدان،

---

(١) في (ج): وتذكروا.

(٢) السُّرى: سيرُ عامَّةِ الليل. والعبارة مثل يُضرب في احتمال المشقة والحث على الصبر، حتى تحمد العاقبة.

(٣) في (ج): يعرضوا.

(٤) الزَّلَف: أواني الطعام. والصَّدَف: غشاء الدُّرِّ، واحدته صدفة، جمع أصداف. والشَّقف: الخزف.

(٥) جمع تُرَّهة: وهي القول الباطل، أو الخالي من النفع. وفي (ج): والترفهات.

(٦) في (ب): والمطربات.

(٧) في (ب): له.

(٨) في (ج): واقتحموا فيه.

(٩) في (أ)، (ب): بجوار.

وقالوا: ليس لنا دارٌ غيرُ هذه الدارِ. وأقاموا على ذلك حتى ذهبتْ مدَّةُ المُقامِ، وضُربتْ[1] كؤوسُ الرحيلِ[2]، ونُودي بالتحويلِ بالحثِّ والتعجيلِ.

فأمّا الذين حصَّلوا الجواهرَ، فرحلوا مغتبطينَ ببضائعهم، لا يأسَوْن[3] على المُقامِ إلا للازديادِ ممّا كانوا فيه.

وأمّا الفرقةُ الثانيةُ، فاشتدَّ جَزَعُهم لعدم استبضاعِهم[4]، وكثرة[5] تفريطهم، وقلَّةِ زادهم، وتركِهم ما عمَّروه، وارتحالِهم إلى ما خرَّبوه[6].

وأمّا الفرقةُ الثالثة، فكانوا أشدَّ جزَعاً، وأعظمَ مصيبةً، وقيلَ لهم: لا نَدَعكم حتى تحمِّلكم ما أخرجتمْ[7] من خزائنِ المَلِكِ في أعناقكمْ، وعلى ظهوركمْ. فارتَحَلوا على هذه الصفةِ حتى وردوا مدينةَ المَلِكِ العظمىٰ، فنُودي في المدينةِ أنه قد[8] قدِمَ قومٌ كانوا في معادنِ الجواهر، فتلقّاهم أهلُ المدينةِ، وتلقّاهم الملك وجنوده، فاستنزلوهم[9]، وقيل لهم: اعرضوا بضائعكم[10] على المَلِكِ:

---

(١) في (أ)، (ب): وضرب.
(٢) في (ج): بجواري الملك وولدانه وقالوا: ليس دار غير هذه الدار وأقاموا فيها على ذلك حتى ذهبت مدة المقام وضربت بوق الرحيل.
(٣) من أَسِيَ: إذا حزن. وفي (ب): ييأسون، وهو من «يئس» إذا انقطع أمله منه. والصحيح الأول.
(٤) الجزع: الحزن والخوف. والاستبضاع: طلب البضاعة.
(٥) في (ب): كثر.
(٦) في (ب): أخربوه.
(٧) في (ج): ما خربتم.
(٨) في (ب): أنه قدم قوم. وفي (ج): أنه قد قدم من كان.
(٩) في (ب): وتلقاهم الملك فاستنزلهم. وفي (ج): فتلقاهم الملك وأهل المدينة واستنزلهم الملك.
(١٠) في (أ): بضاعتكم.

فأمّا أهلُ الجواهرِ، فعُرضتْ[1] بضائعهم، فحَمِدَهُم المَلِكُ وقال: أنتم خاصَّتي وأهلُ مجالستي ومحبَّتي[2]، ولكم ما شئتم من كرامتي. وجعلهم ملوكاً، لهم ما شاؤوا، وإن سألوا أُعْطُوا، وإن شَفَعوا شُفِّعوا، وإن أرادوا شيئاً كان، فقيل[3] لهم: خذوا ما شئتم، واحتكموا ما أردتم[4]. فأخذوا القصورَ والدُّورَ والحُورَ والبساتينَ والقرىٰ والرَّساتيق[5]، وركبوا المراكبَ، وسارَ بين أيديهم وحولهم الوِلْدانُ والجنودُ، وصاروا ملوكاً ينزلونَ في جوارِ المَلِك، ويجالسونه[6]، وينظرونَ إليه، ويزورونه، ويشفعونَ إليه فيمن شاؤوا، وإن سألوهُ أعطاهم، وإن لم يسألوهُ ابتدأهم[7].

وأما[8] الفرقةُ الثانيةُ فقيل لهم: أين بضائعكم؟

فقالوا: ما لنا بضاعةٌ!

قيل: ويحكم[9]! أما كنتم في معادنِ الجوهرِ؟ أما كنتم أنتم وهؤلاءِ الذين صاروا ملوكاً في موضعٍ واحدٍ؟

قالوا: بلى، ولكنّا آثرنا الدَّعةَ والنومَ.

---

(١) في (ج): فعرضوا.
(٢) لم ترد في (ج).
(٣) في (أ): وقيل.
(٤) احتكم في الشيء: تصرَّف فيه كما يشاء. وفي (ج): واحكموا.
(٥) جمع رُستاق: وهي القرية.
(٦) العبارة في (ج): فأخذوا الحور وسكنوا البساتين والقصور والطرق والرساتق وسارت بين أيديهم وحولهم الولدان والجنود وركبوا المراكب وصاروا ملوكاً في جوار الملك ويجالسونه.
(٧) أي طلب منهم أن يسألوه، ويطلبوا ما يشاؤون. والعبارة في (أ): ويزورونه ما سألوه أعطاهم وما لم يسألوه ابتدأهم.
(٨) لم ترد الكلمة في (ب)، وهي في (أ) غير واضحة، وربما لم تظهر في التصوير تماماً لكتابتها بالأحمر. والمثبت من (ج).
(٩) لم ترد في (ب).

وقال بعضهم: اشتغلنا ببناءِ الدُّورِ والمساكنِ[1].

وقال آخرون: اشتغلنا بجمعِ الزُّلفِ والشُّقف.

فقيل لهم: تُبّاً لكم! أما علمتم قلَّةَ مُقَامِكم، ونفاسةَ الجواهرِ التي عندكم؟! أما علمتم أن تلك ليست بدارِ مُقامٍ، ولا محلِّ منامٍ؟! أما أيقظكم الأَيْقاظُ[2]؟ أمَا وعَظَكم الوُعَّاظ؟

قالوا: بلى والله، قد عَلِمْنا فتجاهلنا، وأُوْقِظْنا فتناومنا، وسمعنا فتصامَمْنا.

فقيل لهم[3]: تُبّاً لكم آخرَ الدهرِ.

فعضُّوا أيديَهم ندماً، وبَكوا على التفريطِ بعد الدموعِ دماً[4]، وبَقُوا آسفين متحيِّرين، ووقفوا منتظرين[5] أن يتصدَّقَ عليهم بعضُ الذين صاروا ملوكاً بشفاعةٍ، أو يتكلَّم لهم عند المَلِكِ بكلمة!

وأما الفرقةُ الثالثةُ، فجاؤوا يحملون أوزارَهم على ظهورهم، يائسين مُبْلِسين[6]، حيارىٰ، سُكارىٰ، قد زلَّتْ بهم القَدَمُ، وحَلَّ بهم النَّدَمُ، ونَزَلَ بهم الأَلَمُ، وافتَضَحوا[7] عند الأُمَمِ، فأبعدهم المَلِكُ عن دارِه، وطردهم من جِواره، وأمرَ بهم إلى السِّجْن، فجُرُّوا إليه، قد أَيقنوا بالعذابِ، وجَلَّ أمرُهم عند العتاب[8]. ﴿فَإِن يَصۡبِرُواْ فَٱلنَّارُ

---

(١) لم ترد هذه العبارة في (ج).

(٢) في (ج): بدار مقام ومحل منام أما ايقظكم الوقاض!

(٣) لم ترد في (ب).

(٤) في (ج): على التفريط دماً.

(٥) في (ب): مستنظرين.

(٦) من أَبْلَس: إذا سكت لحيرةٍ أو انقطاع حجة. وفي (أ): بائسين مبليسين.

(٧) في (ب) (ج): فافتضحوا.

(٨) في (ب): وحلّ أمرهم عند العتاب. وفي (ج): وجل أمرهم عند العقاب. وفي (أ) وجلَّ أمرهم عند العتاب.

مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴾[1].

فانظرْ ـ رحمك الله ـ إلى تفاوت ما بين المنزلتين[2]، وما حصل من الفرقِ بين الفريقين، بالصبرِ في تلك المدةِ اليسيرةِ التي أقاموا[3] في تلك الجزيرة[4]!

فهذا تقريبُ مثالِ الدنيا ومن عملَ فيها بالطاعةِ، ومن استوعبها بالتفريطِ والإضاعةِ[5].

فاجتهدْ ـ رحمك الله ـ في الكونِ من الفرقة الأولى، الذين استوعبوا الساعاتِ بالطاعات، ولم يفرِّطوا في شيء من الأوقات.

وأَلْزِمْ قلبَكَ الفِكْرَ[6] في نِعَم الله لتشكرَها، وفي ذنوبِك لتستغفرَها[7]، وفي تفريطِك لتندمَ، وفي مخلوقاتِ الله وحِكَمِهِ لتعرفَ عظمتَهُ وحِكْمتَهُ[8]، وفيما بين يديك لتستعدَّ له، أو في حكمِ شيءٍ تحتاجُ إليه لتعلمَهُ.

وأَلْزِمْ لسانَكَ ذِكْرَ الله تعالى، ودُعاءَهُ واستغفارَه، أو قراءةِ قرآنٍ، أو علم، أو تعليمٍ، أو أمرٍ[9] بمعروفٍ أو نهيٍ عن منكرٍ، أو إِصلاحِ بين النَّاسِ.

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٢٤ واستعتب فلاناً: استرضاه. أي وإن طلبوا إرضاء الله فما هم من المرضي عليهم.

(٢) في (أ): فانظر رحمك الله تفاوت ما بين المنزلتين. وفي (ب): فانظر رحمك الله إلى تفاوت بين المنزلين. وفي (ج): فانظر رحمك الله ما بين الدارين والمنزلتين.

(٣) في (ب): قاموها.

(٤) في (أ): في الجزيرة.

(٥) استوعب الشيء: أخذه أجمع. وفي (ج): ومن عمل فيها بطاعة...

(٦) في (ج): التفكر.

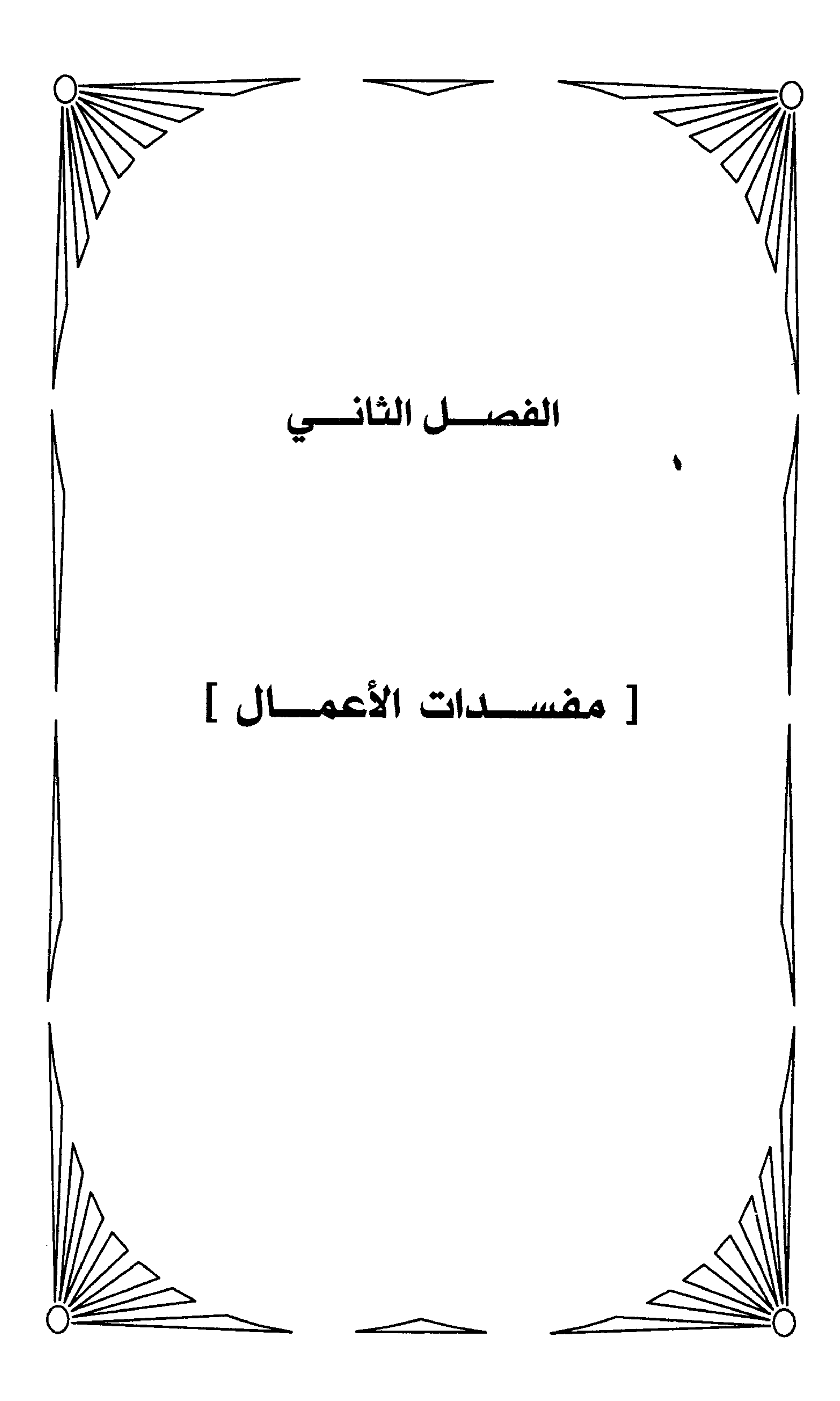
(٧) هكذا وردت العبارتان السابقتان. وقد يكون الصحيح: ... في نعم الله لتشكره عليها، وفي ذنوبك لتستغفر منها.

(٨) في (ج): وفي مخلوقات الله وعظمته وحكمته.

(٩) في (ب): أو تعليم أمر.

وأَشْغِلْ جوارحَكَ بالطاعاتِ، وليكنْ من أهمِّها الفرائضُ في أوقاتِها على أكملِ أحوالها، ثم ما يتعدَّى نَفْعهُ إلى الخلقِ، وأفضلُ ذلك ما نَفَعهم في دينهم، كتعليمهم[1] الدِّين، وهدايتهم إلى الصراطِ المستقيمِ.

(١) في (ب) (ج): كتعليم. وفي (أ) «لتعليمهم»، لكن سحب خط ربما لتصحيح الكلمة كما هو مثبت، لكنها غير موجودة بالهامش.



الفصـــل الثانـــي

[مفســدات الأعمــال]

واحترسْ من مفسداتِ الأعمال[1]؛ لئلا يَفْسُدَ عملُك ويَخيبَ سعيك؛ فلا تحصلُ على أجر العاملين، ولا راحة البطّالين، وتفوِّتَك الدنيا والآخرة[2].

[الرياء]

فمن ذلك: الرِّياءُ، والعملُ لمحمدةِ الناسِ، فإنَّ هذا شركٌ.

وقد رُوي[3] عن اللَّهِ تعالى أنهُ قال: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فيهِ غيري، فهو للذي أَشْرَكَ، وأنا منهُ بريءٌ**»[4].

وقد لا يحصلُ للمرائي ما قَصَدَهُ، فيخيبُ بالكلِّية!

فقد رَوَيْنا أن رجلاً كان يُرائي بعملِهِ، فإذا مرَّ بالناسِ قالوا: هذا مُراءٍ. فقال يوماً في نفسِهِ: واللهِ ما حصلتُ على شيءٍ، فلو جعلتُ عملي للَّهِ!

---

(١) في (ج): العمل.

(٢) في (ب): وتفوتك الدين.

(٣) في (ج): روينا.

(٤) حديث مرفوع، رواه الإمام أحمد بلفظ: «أنا خير الشركاء، فمن عمل عملاً فأشرك فيه غيري فأنا بريء منه، وهو للذي أشرك». المسند **٢/٣٠١**. وهو عند ابن ماجه بلفظ: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل لي عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء، وهو للذي أشرك». سننه، كتاب الزهد، باب الرياء والسمعة **٢/ ١٤٠٥** رقم **٤٢٠٢** وفي الزوائد: إسناده صحيح، رجاله ثقات.
ولفظه عند مسلم: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركتُه وشركه». صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله **٨/ ٢٢٣**.
وورد في (ج): «... أشرك فيه معي غيري فهو للذي أشركه...».

فما زادَ على أن قلب نيَّته[1].

فكان إذا مرَّ بهم بعدُ قالوا: هذا رجلٌ صالحٌ[2].

[العُجب]

ومن ذلك: العُجْبُ[3].

فقد رُوي أن المُدْلي[4] لا يجاوزُ عملُه رأسَهُ.

ورُوي أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام: يا موسى، قل للعاملين المُعْجَبين: اخسروا[5]، وقل للمذنبين التائبين[6]: أبشروا[7].

وقال بعضُهم: لأَنْ أبيتَ نائماً وأُصبحَ نادماً، أحبُّ إليَّ من أنْ أبيت قائماً وأُصبح معجباً[8].

---

(١) في (ب): على انقلب بسببه.

(٢) وقفت على هذا الخبر بالرواية التالية: ذكر هشام بن يحيى الغساني أن رجلاً قال: كنت مُرائياً، فكنتُ أولَ من يدخلُ المسجد وآخرَ من يخرج منه، وكنتُ ظاهر العبادة والاجتهاد، فكنتُ لا أمرُّ على أحد إلا قال: مرائي. فأقمتُ بذلك سنتين، فلم أدرك بذلك شيئاً مما أُحب، فقمت من جوف الليل، فركعتُ ركعات ثم قلت: اللهم إني أشهدك أني قد تركتُ ما كنتُ فيه من الرياء. ثم أدلجتُ إلى المسجد، فمررتُ برجلين، فقال أحدهما: هذا فلان المرائي؟ فقال الآخر: لقد ترك ذلك اليومَ. أخبار وحكايات للغساني ص ١٨.

(٣) العُجب: هو الكِبْر والزَّهْوُ.

(٤) أي المدلي بعمله. وفي (أ): المدل. وفي (ج): أنه لا يجاوز.

(٥) هكذا في الأصول. وفي الحلية: قل للغافلين المعجبين أخسؤوا.

(٦) في (ب) والحلية: النادمين.

(٧) حلية الأولياء ٦/ ٥.

(٨) هو من قول مطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير ـ زاهد من كبار التابعين (ت ٨٧هـ) ـ أورده الإمام عبد الله بن المبارك في الزهد والرقائق ص ١٥١ رقم ٤٤٨، والإمام أحمد في الزهد ٢/ ١٩٦، وأبو نعيم في الحلية ٢/ ٢٠٠.

[تحقير المسلم]

ولا تحقرنَّ مسلماً، ولا تظننَّ[1] أنَّك خيرٌ منه، فإنَّ ذلك ربّما أحبطَ عملكَ[2].

وقد روينا أن عيسى عليه السلام خرجَ في سياحتهِ ومعه حواريُّه، فمرّا بقلعةٍ فيها لصٌّ، فلمّا رآهما[3] قال لنفسهِ: هذا عيسى نبيُّ اللَّهِ، وهذا حواريُّه، ومن أنت يا شقيُّ؟ لصٌّ تقطعُ الطريقَ، وتخيفُ[4] السبيلَ، وتقتلُ النفسَ التي حرَّمَ الله!

فنزل إليهما[5] تائباً نادماً.

فلما أرادَ أن يمشي معهما، قال لنفسه: ما أنا بأهلٍ أنْ أمشيَ معهما، ولكنْ أمشي خلفهما كما يمشي المذنبُ الذليلُ.

فمشىٰ خلفهما، فالتفتَ الحواريُّ، فرآه يمشي خلفهما، فعرفَهُ، فقالَ في نفسهِ: من هذا الكلبُ حتى يمشي خلفنا؟

فاطَّلعَ اللَّهُ تعالى على ما في أنفسِهما، فأوحى اللَّهُ إلى عيسى عليه السلام: أن قل للحواريِّ واللصِّ يستأنفانِ العملَ؛ أمّا اللصُّ فقد غفرتُ له بتوبتهِ وازدرائهِ على نفسهِ، وأمّا الحواريُّ فقد أحبطتُ عملَهُ

---

(١) في (ب) (جـ): ولا تظن.

(٢) قلت: وهذا باب عظيم من أبواب التربية الإسلامية غفل عنه كثير من المسلمين. والعاقل يفكر، ويستدرك، ويصلح نفسه، فلينظر إلى تعامله مع إخوانه المسلمين، سواء أكانوا من عشيرته أم لا، ومن بني قومه أم لا، ومن بلده أو ليسوا من بلده، وفي مستواه العلمي أو ليسوا في مستواه... ويقول رسول الله ﷺ: «بحسب امرىءٍ من الشرِّ أن يَحْقِرَ أخاه المسلم». رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله ٨/ ١١. واحتقار المسلم هو التكبر عليه واستصغاره.

(٣) في (ب): فمروا... رآهم. وفي (جـ): فمرَّ...

(٤) في (أ): وتخاف. وفي (جـ): هذا عيسى نبي الله ومعه حواريه... لص يقطع... ويخيف.. ويقتل.

(٥) في (ب): إليهم.

بازدرائهِ اللصَّ التائبَ[1].

وقال بعضُ أنبياء بني إسرائيلَ لقومهِ: ائتوني بخيركم[2].

فأتوه برجلٍ، فقال له النبيُّ: ائتني بشرِّهم!

فرجعَ بنفسهِ فقال: ما وجدتُ فيهم شرّاً مني!

فقال: صدقوا، أنت خيرُهم!

[مخالفة السنَّة]

ومن ذلك: مخالفةُ السُّنَّةِ قولاً أو فعلاً أو اعتقاداً[3]، فإنَّ رسول الله ﷺ هو الدليلُ الهادي إلى الصراط[4] المستقيم. قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[5].

فمن خالفَ الدليلَ وأخذ غيرَ طريقهِ ضلَّ، بل اتَّبعِ السُّنَّةَ: سِرْ حيثُ سارتْ، وقفْ حيث وقفتْ[6].

ولا تتجاوزْها فَتَغْلُوَ في دينِكَ، مثلَ الوسوسةِ في الطهارةِ والصلاةِ، والزيادةِ على الغَسَلاتِ المشروعةِ، والإسرافِ في الماءِ، وتنجيسِ ما كان النبيُّ ﷺ يستعملُه ويطهِّرهُ، والصلاةِ في وقتِ نهيهِ، والصومِ فيما نُهي[7] عنه.

---

(١) أورده المؤلف في كتاب التوابين ص ٨٨. وفي آخر (جـ) زيادة: وإعجابه بنفسه.

(٢) في (ب): بأخيركم.

(٣) في (أ): أو عقداً. وكذا في (جـ) إلا أنه أشار في الهامش بقوله: «لعله: أو اعتقاداً». وفي (ب): قولاً وفعلاً واعتقاداً.

(٤) في (ب): للصراط.

(٥) سورة الشورى، الآية ٥٢. ولم ترد الآية في (جـ).

(٦) في (ب): بل لا اتبع السنة ولا سار حيث سارت ولا وقف حيث وقفت.

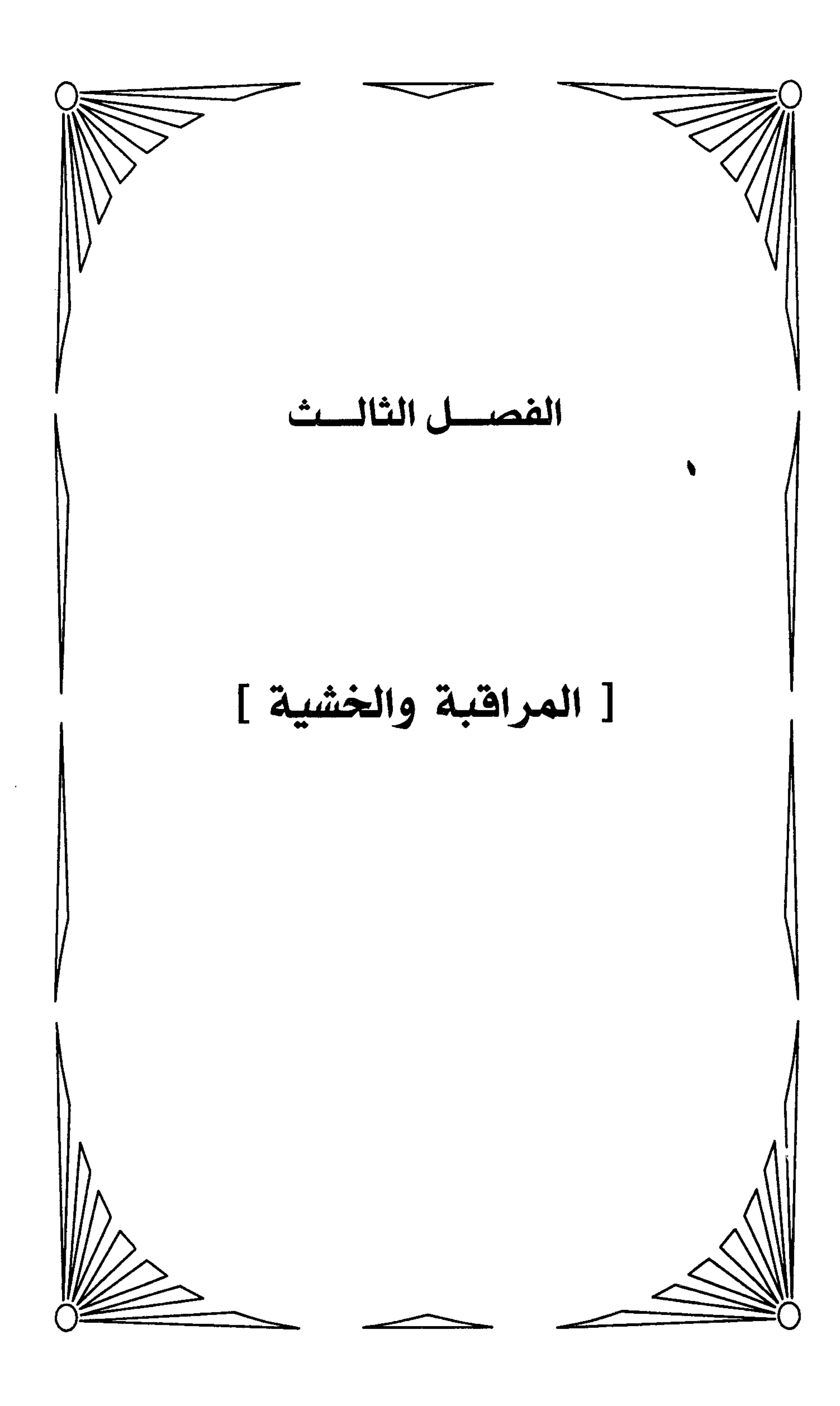
(٧) في (ب): ينهى.

قال أبو سليمان الداراني[1] رحمه الله: إذا أردتَ عملاً ترىٰ أنه طاعةٌ، فانظرْ، فإن وردتْ به السُّنَّةُ، وإلا فَدَعْهُ. أو كما قال. وإذا[2] دعتكَ نفسُكَ إلى معصيةٍ، فذكِّرْها سوءَ عاقبتِها.

---

(١) هو أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية الداراني. من داريّا، قرب دمشق. عابد زاهد مشهور. قال فيه الإمام الذهبي: الزاهد القدوة.. كان عديم النظير زهداً وصلاحاً، وله كلام رفيع في التصوف والمواعظ. ت ٢٠٥هـ. العبر في خبر من غبر ١/ ٢٧٢، صفة الصفوة ٤/ ٢٢٣.

(٢) في (ب): إذا (بدون واو العطف). وفي (ج): وإذا دعت إلى معصية..



الفصـــل الثالـــث

[المراقبة والخشية]

[التفكُّر]

واعلمْ أنَّ الله تعالىٰ ناظِرٌ إليكَ، مطَّلِعٌ عليكَ، فقل لنفسِكَ: لو كانَ رجلٌ[١] من صالحي قومي يراني لاستحيتُ منه، فكيف لا أستحي من ربِّي تبارك وتعالى، ثم لا آمَنُ تعجيلَ عقوبتهِ وكشفَ سترهِ؟.

واعلمْ أنك لا تَقْدِرُ على معصيته إلا بنعمته!

فكم له عليكَ من نعمةٍ في يدِكَ التي مددتها إلى معصيته؟

وكم من نعمةٍ في عينكَ التي نظرتَ بها إلى ما حَرَّم عليك[٢]؟

وفي لسانِكَ الذي نطقت به بما لا يحلُّ لك؟

وليس من شكْرِ إنعامهِ أن تستعينَ به[٣] على معاصيهِ.

كان بعضُهم يقول: اللهم إني استغفركَ من خطيئةٍ قَوِيَ عليها بدني بعافيتِكَ، ونالَتْها يدي بفضلِ نعمتِكَ، وانبسطتُ فيها بسعةَ رزقِكَ، واحتجبتُ فيها عن الناسِ بسترك[٤]، وجرَّأني عليها حِلْمُكَ وأناتُك[٥]، واتكلتُ فيها على كريمِ عفوِكَ.

---

(١) في (ب) (ج): رجلاً.

(٢) تقدمت هذه الفقرة على سابقتها في (ب). وورد أوله هنا: «وكم له عليك من نعمة».

(٣) في (ج): بها.

(٤) العبارة في (ج) اللهم إني أستغفرك من معصية قوي عليها بدني بنعمتك، ونالته يدي بفضلك، وانبسطت فيها بسعة رزقك، واحتجبت فيها عن خلقك بسترك.

(٥) في (ب) (ج): وإناءتك.

ولو لم يكن من نعمهِ عليك في معصيتك إلا سترها عليك لكفى[1]، فلو اطَّلعَ الناسُ عليك لا نهتكْتَ.

وقد روينا أن رجلاً أتى إبراهيمَ بن أدهم[2] فقال: يا أبا إسحاق، إنني لا أصبرُ عن المعاصي، فقل لي قولاً أنتفعُ به!

قال: نعم. أقولُ لكَ خمسَ خصالٍ، إن قَدِرْتَ[3] عليها لم تضرَّكَ معصيةٌ!

قال: هاتِ.

قال: إذا[4] أردتَ أن تعصيَ الله فلا تأكلْ رزقَهُ!

قال: يا أبا إسحاق فمن أينَ آكلُ وكلُّ ما في الأرضِ من رزقِ اللَّهِ[5]؟!

قال: أفَيَحْسُنُ أنْ تأكلَ رزقَهُ وتعصيهِ[6]؟

قال: لا. هاتِ الثانية.

قال: إن[7] أردت أن تعصيه فلا تسكن بلاده!

---

(١) في (ب) زيادة «بذلك».

(٢) إبراهيم بن أدهم بن منصور، أبو إسحاق البلخي، الزاهد، من الأفاضل، أحد السادات. دخل مكة، وصحب بها سفيان الثوري، والفضيل بن عياض، ودخل الشام ومات بها سنة ١٦٢هـ. وكان يأكل من عمل يده، مثل الحصاد. وحفظ البساتين، وغير ذلك.

من أقواله: أعزُّ الأشياء في آخر الزمان ثلاثة: أخٌ في الله يُؤْنَسُ به، وكسبُ درهم من حلال، وكلمةُ حقٍّ عند سلطان. العبر ١/ ١٨٣، تهذيب الكمال ٢/ ٢٧.

(٣) في (جـ): قويت.

(٤) في (أ): فإن. وفي (ب): إن.

(٥) في (جـ): من رزقه.

(٦) هنا تنتهي النسخة (ب) الناقصة.

(٧) في (جـ): إذا.

قال: هذه أشدُّ من الأولى! إذا كانت السماواتُ والأرضُ وما بينهما وما فيهما له فأين أسكن؟

قال: يا هذا، أفيحسنُ أن تأكلَ رزقه وتسكنَ بلاده وتعصيه؟

قال: لا. هاتِ الثالثة.

قال: فإذا أردتَ أن تعصيه فانظرْ موضعاً لا يراك فاعصهِ[١] فيه.

قال: يا أبا إسحاق، فكيف أصنعُ وما في السماءِ[٢] والأرضِ والجبالِ والبحارِ موضعٌ إلا وهو بارزٌ له، يرى ما في قعرِ البحار، وتحت أطباقِ الجبال؟

قال: يا هذا، أفيحسنُ أن تأكلَ رزقَهُ، وتسكنَ بلادَهُ، وتجاهرَه بمعصيته[٣]؟

قال: لا. هات الرابعة.

قال: إذا جاءك مَلَكُ الموتِ ليقبضَ روحكَ فقل: أخِّرني حتى أتوبَ.

قال: لا يقبلُ مني.

قال: يا هذا، فإذا كنتَ تعصيه، ولا تأمنُ مفاجأة الموت، ولا يقبلُ منك فيؤخرَك؛ فتموتُ على غير توبة، فكيف يكونُ حالك؟!

قال: هات الخامسة.

قال: إذا جاءَتك الزبانيةُ ليأخذوك إلى النارِ فلا تمضِ معهم.

قال: لا يَدَعونني.

---

(١) في الأصل (أ): فاعصيه. وفي (ج): فإذا أردت.. فانظر إلى موضع لا يراك فيه فاعصه.

(٢) في (ج): كيف أصنع وما في السماوات.

(٣) في (ج): وتبارزه بالمعصية.

قال: فإذا كنتَ لا تقدرُ على الامتناعِ منهم، ولا تدعُ المعصيةَ، فكيف ترجو الخلاص؟

قال: حسبي.

ولزم إبراهيم، فعبدَ الله حتى مات[1]!

وإن ابتليت بمعصيةٍ فبادرْ إلى التوبةِ[2] والاستغفار والندم، وابكِ على خطيئتك، فإنك لا تدري[3] على ما أنت منها.

كان بعضهم يقول: لا تنظر إلى صغرِ الخطيئة، ولكن انظرْ إلى مَنْ عصيت[4]!

وشكا بعضُ عمال عمر بن عبد العزيز إليه، فكتب إليه: يا أخي، اذكر سهرَ أهلِ النارِ في النارِ مع خلودِ الأبد، واحذر أن يكون المنصرفُ بك من عند الله إلى النار فيكونَ آخرَ العهدِ ومنقطعَ الرجاء[5].

فلما قرأ الكتاب، طوىٰ البلاد حتى قدم عليه، فقال: ما أقدمك؟

فقال: خلعتَ قلبي بكتابك، لا عملتُ لك ولا لأحدٍ بعدك!

[المسؤولية.. والعواقب]

واعلم يا أخي أن الخطرَ عظيم، والخطبَ جليلٌ، وأننا قد عُرضنا لأمرٍ لا تقوم له الجبالُ الشوامخ، ولا الأرضُ العريضة، ولا

---

(١) الدر المنظوم للإقليشي ص ٤٥. وآخره في (ج): فلزم إبراهيم حتى مات رحمه الله.

(٢) في (أ): للتوبة.

(٣) في (ج): ما تدري.

(٤) هو من قول بلال بن سعد، كما في الزهد لابن المبارك ص ٢٤ رقم ٧١، وحلية الأولياء ٥/ ٢٢٣. وفي (ج): وانظر إلى..

(٥) لفظه في (ج): اذكر سهر أهل النار في النار، وخلود الأبرار في دار القرار... فيكون آخر العهد بك وينقطع الرجاء فيك.

السماءُ الرفيعة، ولا البحارُ الواسعة، وحَمَلْنا أمراً أشفقت مِنْ حَمْلهِ السماواتُ والأرضُ والجبال ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[1].

وخُلقت لنا النارُ التي لا مثلَ لعذابها، ووعدها الله تعالى أن يملأها منا ومن الجنِّ، فقال تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[2].

وكيف حالُ من تشعلُ النارُ في جسده كله، كلما[3] نضج جلده بُدِّلَ جلداً غيرَه، يُسحب في حميم، قد انتهى حَرُّه على جسده ووجهه[4]. ويُصبُّ[5] من فوق رأسه، فيُصهر به ما في بطنه، ويُنتزع[6] عنه جلدُه، ثم يُسْجَرُ في نار تُشعلُ في جسمهِ وجلده ووجهه[7]، ثم لا غايةَ لعذابها، ولا يُفتَّرُ عنهم، ولا يرجون[8] منها فرجاً. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾[9].

لا يُرحمون إن بَكَوا، ولا يُعذرون إن شَكَوا، ولا يُجابون إن

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.
(٢) سورة السجدة، الآية: ١٣.
(٣) في (ج): فكيف حال من تشتعل في جسده فكلما.
(٤) في (أ): على وجهه.
(٥) في الأصل (أ): ويصيب، أو ويصلب. وفي (ج): ونصب، والصحيح ما أثبت، من قوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾ سورة الحج، الآيتان: ١٩، ٢٠.
(٦) في (ج): وينزلغ.
(٧) في (ج): في جسمه ووجهه.
(٨) في (ج): ولاهم يرجون.
(٩) سورة الزخرف، الآيات: ٧٤ ـ ٧٧.

دَعوا، ولا يُعتبون إن استعتبوا[1]. قال الله تعالى: ﴿فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾[2].

يروى أن عمر رضي الله عنه مرَّ بكثيبٍ من الرملِ فقال: مساكين أهلُ النار! لو علموا أنهم إذا لبثوا في جهنمَ عددَ هذا الرمل ثم أُخرجوا منها لكان لهم أمدٌ يَمُدُّون بأعناقهم إليه[3]، ولكنهم لا غايةَ لهم[4].

ومن كان حالُه هكذا فلا يأمنُ على نفسه أن يكون من أهلها؛ فحقُّه أن لا يَفْتُرَ من البكاء، ولا يستقرَّ به قرار[5].

فكن يا أخي على حذرٍ، ولا تأمنْ وأنت معرَّض لهذا الخطر[6].

كان بعضهم يبكي كثيراً، فقيل له في ذلك فقال: والله لو تواعدني ربي أن يسجنني في الحمام[7] لكان حقي أن لا أفتر من البكاء، فكيف وقد تواعدني أن يسجنني في النار إن أنا عصيتُه[8]؟

وكان يزيد الرقاشي[9] كثير البكاء، إذا دخل بيته بكى، وإن خرج بكى، وإن دخلَ المسجد بكى، وإن جلسَ إليه أخوانُه بكى[10]!

فقال له ابنه: يا أَبَهْ، كم تبكي؟! فوالله لو أن النار لم تُخلق إلا

---

(١) أي وإن يطلبوا إرضاء الله فما هم من المرضي عليهم. والعتبى: رجوع المعتوب عليه إلى ما يُرضي العاتب.
(٢) سورة فصلت، الآية: ٢٤.
(٣) في (ج): ثم أخرجوا لكان لهم أمد يمدون إليه أعناقهم.
(٤) التخويف من النار ص ٢١٠.
(٥) في (ج): ولا يقر له قرار.
(٦) في (ج): الخطير.
(٧) في (ج): والله لو لم يتوعدني ربي أن يسجنني إلا في الحمام.
(٨) صفة النار رقم ١٩٠، الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا رقم ٢٤٦.
(٩) يزيد بن أبان الرقاشي، أبو عمرو البصري، القاص الزاهد. كان من خيار عباد الله، من البكائين بالليل، لكنه غفل عن حفظ الحديث شغفاً بالعبادة. تهذيب التهذيب ٦/ ١٩٥، صفة الصفوة ٣/ ٢٨٩.
(١٠) من قوله: «وإن خرج» حتى هنا لم يرد في (ج).

لك[1] ما زدت على هذا!

فبكى وقال: ثكلتك أمك يا بني! وهل خُلقت النارُ إلا لي ولإخواني من الإنس والجن؟

أما تقرأ يا بني: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾[2].

أما تقرأ: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾[3].

أما تقرأ: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾[4].

فقام يجول في الدار ويبكي[5] ويصرخ حتى غُشي عليه!

فقالت أم الغلام: يا بني ما أردت إلى هذا من أبيك[6]؟

قال: والله ما أردت إلا أن أهوِّن عليه، ما أردتُ أن أزيد عليه حتى يقتل نفسه[7]!

واعلم يا أخي أن الذي خاف منه أولئك نحن مثلهم فيه، بل نحن أحقُّ به منهم[8]، فما الذي يؤمِّننا دونهم؟

---

(١) في (ج): فوالله لو لم تخلق النار إلا لك.

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٣٣. وفي (ج) زيادة إلى قوله: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾ وهو ما يأتي.

(٣) سورة الرحمن، الآية: ٣٥.

(٤) سورة الرحمن، الآيات: ٣٧ ـ ٤٤. ولم ترد في (ج).

(٥) لم ترد في (أ).

(٦) في (ج): يا بني ما أردت من أبيك إلا هذا.

(٧) الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا رقم ٢٤٨، والرقة والبكاء للمؤلف ص ٣٣٨.

(٨) في (أ): بل أحق منهم.

[فضائل الأعمال]

واعلم ـ رحمك الله ـ أن حسنَ الخُلقِ أثقلُ ما يوضعُ في الميزان، وأنه يبلغ بصاحبه درجةَ الصائم القائم.

وأن من وَصَلَ رَحِمَهُ وصَلَهُ الله، ومن قَطَعها[١] قطعه الله.

وأن أفضلَ الأعمال الصلاةُ لمواقيتها[٢].

ثم برُّ الوالدين.

ثم الجهاد في سبيل الله.

وأن أوثق[٣] عرى الإيمان الحبُّ في الله والبغض في الله.

وأن الصبرَ من الإيمانِ بمنزلة الرأسِ من الجسد.

وملاكُ الأمرِ الدعاءُ، فإن الأمرَ كلَّه بيد الله، يهدي من يشاء ويستعمله، ويضلُّ من يشاء ويخذله. فينبغي لك أن ترغب إلى من الأمر بيده، وتفوِّض أمرك إليه[٤].

[الدعاء بخشوع]

وليكن دعاؤك بخضوعٍ وخشوعٍ، وبكاءٍ[٥] وتضرُّعٍ، فإن بعضهم قال: إني لأعلمُ حين يستجِيبُ لي ربي عزَّ وجلَّ: إذا وَجَلَ قلبي، واقشعرَّ جلدي، وفاضتْ عيناي، وفُتح لي في الدعاء.

---

(١) في (ج): قطعه.

(٢) في (ج): في وقتها.

(٣) في (ج): وأوثق.

(٤) العبارتان الأخيرتان لم تردا في (أ).

(٥) لم ترد في (ج).

قالت أم الدرداء[1] لشهر بن حوشب[2]: أما تجد قشعريرة؟

قال: بلى.

قالت: فادعُ عندها[3]، فإن الدعاءَ يُستجاب عند ذلك.

وعن أبي الجلد[4] قال: أوحىَ الله إلى مَوسى عليه السلام: يا موسى، إذا ذكرتني فاذكرني وأعضاؤك تنتفض، وإذا دعوتني فاجعلْ لسانَك من وراء قلبك، وإذا قمت بين يديَّ فقم مقام الذليل الحقير، وذُمَّ نفسَك فهي أولى بالذمّ، وناجِ حين تناجيني بقلبٍ وجلٍ[5]، ولسانٍ صادق[6].

وفوِّض أمرك إلى الله تعالى، واستطرح بين يديه، وأشعر قلبك أنه لا ينالُك من الرزق والخير إلا ما كتبه الله لك ولو اجتهدت فيه

---

(١) هي أم الدرداء الصغرى، زوج أبي الدرداء رضي الله عنه. اسمها هجيمة بنت حيي الأوصابية. ووصّاب بطن من حمير. وهي التي مات عنها أبو الدرداء، وخطبها معاوية فلم تفعل. روت عن طائفة من الصحابة. وكانت فقيهة، عابدة، وكان النساء يتعبَّدن معها. من أقوالها: أفضل العلم المعرفة. ت ٨١هـ. تهذيب الكمال ٣٥/ ٣٥٢.

(٢) شهر بن حوشب الأشعري الشامي. قرأ القرآن على ابن عباس. وكان عالماً، كثير الرواية، حسن الحديث. ت ١٠٠هـ. العبر ١/ ٩٠، حلية الأولياء ٦/ ٥٩.

(٣) في (ج): عند ذلك.

(٤) هو جيلان بن فروة البصري. وصفه الحافظ أبو نعيم الأصبهاني بقوله: كان للكتب المنزلة حافظاً، وبمواعظ الأنبياء وأحوالهم واعظاً، وبالأذكار لهجاً لافظاً. من أقواله: وجدت التسويف جنداً من جنود إبليس، قد أهلك خلقاً من خلق الله كثيراً. حلية الأولياء ٦/ ٥٤. وورد في (ج): «أبي الجعد».

(٥) في (ج): وناجني بقلب وجل.

(٦) حلية الأولياء ٦/ ٥٥. وعن وهب بن منبه قال: أوحى الله تعالى إلى موسى: إذا دعوتني فكن خائفاً مشفقاً وجلاً، وعفِّر خدَّك بالتراب، واسجد لي بمكارم وجهك وبدنك، واسألني حين تسألني بخشية من قلب وجل، واخشني أيام الحياة، وعلِّم الجاهل آلائي، وقل لعبادي لا يتمادوا في غيٍّ ما هم فيه فإن أخذي أليم شديد. المصدر السابق ٤/ ٧٠.

بحيلةِ السماوات والأرض، ولا يجري عليك ما تكرهه إلا ما كتبه الله عليك ولو اجتمع عليك[1] من في السماوات والأرض، فإن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك.

واعلم أن من هو في البحر على لوحٍ ليس هو بأحوجَ إلى الله تعالى وإلى لطفه ممن هو في بيته وبين أهلهِ وماله، فإن الأسباب التي ظهرت له بيد الله تعالى، كما أن أسبابَ نجاةِ هذا الغريق بيده.

فإذا حقَّقت[2] هذا في قلبك فاعتمد على الله تعالى اعتماد الغريق الذي لا يعلم له سببَ نجاةٍ غيرَ الله تعالى.

وعليك بالورع واجتناب الشبهات، فإن من واقعَ الشبهات[3] أوشك أن يقعَ في الحرام، فإن من رتع حول الحمى أوشك أن يقع فيه[4].

وعليك بالليل فاخْلُ فيه بربِّك، واطلب منه حوائجك، وتَضرَّع إليه، واخضع بين يديه، فإنه يروى أن رجلاً قال: أتيت بِشْراً[5] فقال: ما جاء بك؟ قلت: مسألة[6]. قال: ما هي؟ قلت: رجلٌ عليه دَيْن كثير لا سبيل له إلى قضائه. فقال: عليك بجوف الليل.

فأتيتُ أبا عبد الله أحمد بن حنبل، فسألته، فقال: عليك بجوف الليل.

قال: فدلاّني جميعاً عليه.

وإذا سألتَ الله فاسأله وأنت موقنٌ بأنه مطلعٌ عليك، ناظرٌ

---

(١) من قوله: «السماوات» إلى هنا لم يرد في (ج).

(٢) في (ج): تحققت.

(٣) في (ج): من وقع في الشبهات.

(٤) في (أ): فإن من وقع حول الحمى أوشك أن يحبس. ورتع بمعنى رعىٰ.

(٥) هو بشر بن الحارث الحافي، العبد الصالح المشهور. ت ٢٢٧هـ.

(٦) في (ج): حاجة.

إليك[1]، سامعٌ لدعائك، قريبٌ منك، قادرٌ على إجابتك، لا يتعاظمه شيء.

وإذا سألته أمراً فاسأله الخيرةَ فيه، فإنك لا تدري ما يكون لك فيه. وإذا شاء الله تعالى أعطاك رغبتك وخارَ لك في ذلك، فيجمعُ[2] لك بين الأمرين.

فإن لم يعجِّل لك الإجابة فلا تيأس من الإجابة، ولا تملَّ من السؤال، فقد روي أن بعضهم قال: لقد خارَ الله لعبدٍ في حاجةٍ أكثرَ فيها تضرُّعه.

واعلم أن الله تعالى إذا نظر إليك وعلم أنك قد[3] جعلته معتمدك وملجأك، وأفردته بحوائجك دون خلقه؛ أعطاك أفضل ما[4] سألته، وأكرمك بأكثر مما أردته.

فإن عجَّل لك الإجابة فقد جمع لك بين قضاء الحاجة وخير الدنيا والآخرة[5]، وإن لم يُجبك عاجلاً فقد عوَّضك عن ذلك خيراً منه. فأنت على خيرٍ في الحالين.

[المنـــاجـــاة]

واسترحِ إلى مناجاتهِ، وتلذَّذ بعبادتهِ، فإنه يروىٰ عن أبي سليمان الداراني أنه دخل على أحمد بن أبي الحواري[6] وهو يبكي، فقال: ما

---

(١) لم ترد هذه الجملة في (أ).

(٢) في (أ): فتجمع. والعبارة في (ج): وإذا سألته فاسأله الخير... وخار لك في ذلك فلا تيأس من الإجابة.

(٣) في (ج): .. إليك وأنت قد.

(٤) في (ج): مما.

(٥) في (ج): وخير الآخرة.

(٦) هو أحمد بن عبد الله بن ميمون بن أبي الحواري الدمشقي الزاهد، كوفي الأصل. من قدماء مشايخ الشام. تكلم في علوم المحبة والمعاملات، وصحب أبا سليمان الداراني، وأخذ طريقة الزهد من أبيه أبي الحواري. وكان الجنيد يقول: =

يبكيك؟ فقال: يا أحمد، وما لي لا أبكي[1]! ولو رأيت قُوَّامَ الليل وقد قاموا إلى محاريبهم، وانتصبوا على أقدامهم يناجون ربَّهم في فكاك رقابهم، وقطرت دموعهم على أقدامهم، وجرت على خدودهم[2]، وقد أشرف عليهم الجليل فنادى: يا جبريل، بعيني مَنْ تلذَّذَ بكلامي واستراح إلى مناجاتي، فلمَ لا تنادي فيهم[3] يا جبريل: ما هذا الجزعُ الذي أراه فيكم؟ أبَلَغكم أن حبيباً يعذِّب أحبَّاءه[4]؟ أم كيف يَجْمُلُ بي أن أبيِّتَ أقواماً وعند البياتِ آخذهم[5] وقوفاً لي يتملقوني[6]؟ فبعزَّتي لأجعلنَّ جزاءهم وقد وردوا عليَّ أن أكشف لهم الحجاب عن وجهي حتى أنظر إليهم وينظروا إلي[7].

ومنها[8] ما روي عن منصور بن عمار[9] أنه قال: سمعتُ عابداً بالليل يناجي ربَّه وهو يقول: وعزَّتك وجلالك ما أردتُ بمعصيتي

= أحمد بن أبي الحواري ريحانة الشام. من أقواله: ما ابتلى الله عبداً بشيء أشدَّ من الغفلة والقسوة. ت ٢٤٦هـ. تهذيب الكمال ١/ ٣٦٩.

(١) هذا جواب أبي سليمان الداراني لابن أبي الحواري، يعني أن الأخير دخل على الأول وهو يبكي لا كما ساقه المؤلف أولاً، وقد أورد بدايته صحيحة في المصدر الموثق أخيراً.

(٢) في (ج): قد قطرت دموعهم على خدودهم، ووقفوا على أقدامهم.

(٣) في (ج): . . مناجاتي ناد فيهم.

(٤) في (ج): أحبابه.

(٥) في المصدر الآتي: أجدهم. وفي (ج): أم كيف يجمل بي أن أعذب أقواماً إذا جنَّهم الليل تملقوني.

(٦) تملَّقه: مَلِقَه، أي: تودَّده بكلام لطيف، وتضرَّع فوق ما ينبغي.

(٧) الرقة والبكاء للمؤلف ص ٥٢.

(٨) في (ج): ومناجاة العباد لربهم كثيرة، ومن أحسنها ما روي. .

(٩) هو منصور بن عمار السلمي الخراساني، الواعظ البليغ، الصالح، الرباني. كان عديم النظير في الموعظة والتذكير. وعظ بالعراق والشام ومصر، وبعد صيته، وتزاحم عليه الخلق. وكان ينطوي على زهد وخشية، ولوعظه وقع في النفوس. وفاته في حدود ٢٠٠هـ. سير أعلام النبلاء ٩/ ٩٣، حلية الأولياء ٩/ ٣٢٥، صفة الصفوة ٢/ ٣٠٨.

مخالفتك، ولا التعرُّض لغضبك، ولا أنا بنكالك[1] جاهل، ولا لعذابك متعرِّض، ولا بنظرك مستخف[2]، ولكن زينتْ[3] لي نفسي، وأعانتها شقوتي، وغرَّني سترك المُرخى علي، فعصيتُك بجهلي، وخالفتك بجهدي، فالآن مِنْ عذابك مَنْ ينقذني؟ وبحبل مَنْ أعتصم إن قطعتَ حبلك عني؟ وا سوءتاه من الوقوف بين يديك غداً إذا قيل للمخفِّين جوزوا، وللمثقلين حطُّوا، أفمع المخفين أجوزُ أم مع المثقلين[4] أحطُّ يا سيدي؟

ويلي! كلما طالت أيامي كثرتْ آثامي.

ويلي! كلما كبرت سني عظمتْ مصيبتي[5].

فمن كم أتوب؟ وفي كم أعود[6]؟

وا شباباه! وا شباباه![7]

وروي عن رجل قال: طلعتُ بعضَ جبالِ الشام، فإذا في رأسه عابدٌ قد اشتدَّ بكاؤه ونحيبُه، فسمعتُه يقول: أترى بكائي نافعاً لي عندك يا سيدي ومنقذاً لرقبتي من سخطك؟

أتراك مُقيلي عثرتي في نارك[8] ومعذبَ كَبْرَتي[9] بعذابك؟

أتراك موبِّخي على رؤوس الخلائق بتفريطي في حقك؟

---

(١) النكال: العقاب.

(٢) في (ج): جاهلاً.. متعرضاً.. مستخفاً.

(٣) في (ج): سولت.

(٤) الجملة السابقة لم ترد في (ج).

(٥) في (ج): عظمت ذنوبي.

(٦) في (ج): فكم أتوب وكم أعود.

(٧) حلية الأولياء ٩/٣٢٨، صفة الصفوة ٤/١٨٤، الرقة والبكاء للمؤلف ص ٣٨٠. والكلمة الأخيرة في (ج): وا شيباه.

(٨) في (ج): أتراك ملقي غرتي في نارك.

(٩) الكَبْرة: الكِبَر في السن.

أوَّاه لكشفِ ستري!

أوَّاه لحياء وجهي!

أوَّاه لمّا يُلقى[1] غداً في النار جسدي.

قال: ثم اشتدَّ بكاؤه حتى أنساني ما قبل ذلك!

فناداه رجلٌ: دُلَّنا على الطريق رحمك الله.

فبكى ثم قال: وكيف لي ولكم بالثبوت عليها؟ وكيف لي ولكم بالاستقامة عليها؟

ثم قال: اللهم دُلَّ حيرتهم وحيرتي، ولا تُعَثِّرني ولا إياهم.

وروي عن الحسن بن جعفر، عن أبيه قال:

صليت العيد في الجَبَّانة[2]، ثم انفردتُ في ناحية، فإذا بعجوز رافعة يديها وهي تقول: انصرف الناسُ ولم أشعر قلبي اليأس يا صاحب الصدقة!

ها أنا ذهِ منصرفةٌ، فليت شعري ما زوَّدتني[3]!

ربِّ ارحم ضعفي وكِبَر سنِّي[4].

خرجتُ أرجوك فلا تخيِّب حسنَ ظني.

وهي تبكي. قال: فما انتفعتُ بشيءٍ في يومي[5]!

وعن سفيان[6] أنه قال: سمعتُ أعرابياً بعرفةَ يقول:

---

(١) في (ج): يلقاه.

(٢) الجبانة: الصحراء.

(٣) في (ج) فليت شعري بما رددتني.

(٤) في (ج): وكبرتي. وهو بمعنى «كبر سني».

(٥) في (ج): فما انتفعت نفسي يومي بشيء.

(٦) هو سفيان الثوري رحمه الله.

إلهي، من أحقُّ بالزَّللِ والتقصير مني وقد خلقتني ضعيفاً؟
ومن أحقُّ بالعفو عني منك وعلمُكَ بي[١] سابق وأمرك بي محيط!
إلهي، لم أُحْسِنْ حتى أذنتَ لي، ولم أُسِيءْ حتى قضيتَ علي.
أطعتُك بنعمتك والمنَّةُ لك، وعصيتُك بعلمك والحجَّةُ لك!

فأسألك بوجوب حجَّتك وانقطاع حجَّتي، وفقري إليك وغناك عني؛ إلا ما غفرتَ لي ورحمتني.

إلهي، أنت أُنسُ[٢] المؤنسين لأوليائك، وأقربهم بالكفاية إلى من توكَّل عليك، تشاهدهم في سرائرهم، وتطَّلع على ضمائرهم!

اللهم وسرِّي لك[٣] مكشوف، وأنا إليك ملهوف، فإذا أوحشتني الذنوبُ آنسَني ذكرُك، وإذا أصمت[٤] عليَّ الهمومُ لجأتُ إليك، علماً مني بأن أزمَّتَها[٥] بيديك، ومصدرها عن قضائك وقدرك[٦].

ولبعضهم:

اللهم إن استغفاري لك مع إصراري لَلُؤم، وإن تركي الاستغفارَ مع سعةِ رحمتك لَعجز[٧].

كم تتحبَّبُ إليَّ بالنعيم وأنت غنيٌّ عني، وكم أتبغَّضُ إليك بالمعاصي وأنا إليك فقير[٨]؟!

---

(١) في (ج): في.
(٢) (في ج): أنيس.
(٣) في (ج): إليك.
(٤) صمَّت الشيء وأصمت: جعله مُصمتاً لا فراغ فيه (أي امتلأ بالهموم). وفي صفة الصفوة: صببتَ. وفي (ج): اجتمعت.
(٥) جمع زِمام. وزمام الأمر: ملاكه. وفي (ج): أزمتها بيدك.
(٦) صفة الصفوة (٤/٤٠٩).
(٧) في (أ): لعجزي.
(٨) لم ترد الفقرة السابقة في (ج).

إلهي، اتراك تعذبنا[1] بالنار وقد أسكنتَ توحيدكَ في قلوبنا؟ وما أُراك تفعلِ، ولئن فعلتَ فلمع[2] قومٍ طالما عاديناهم فيك.

وأحسنُ من هذا ما رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال حين رجع من الطائف وقد كذبته ثقيف وردُّوا عليه فقال:

«اللهم إليكَ أشكو[3] ضَعْفَ قوَّتي، وقلَّةَ حيلتي، وهواني على الناس. اللهم أنت ربُّ المستضعفين وأنت أرحم الراحمين. أنت ربي. إلى من تكلني؟ إلى بعيدٍ يتجهَّمُني؟ أو إلى عدوٍّ مَلّكْتَهُ أمري؟ إن لم يكن بك غضبٌ عليَّ فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسعُ لي. أعوذُ بوجهك الكريم[4] الذي أضاءت[5] له الظلماتُ وصلحَ عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحلَّ بي سخطُك، أو ينزل عليَّ غضبك. لك العُتبىٰ حتى ترضىٰ، ولا حول ولا قوة إلا بك»[6].

[طلب الحاجة]

وإذا كانت لك حاجةٌ إلى الله تعالى تريد طلبها منه؛ فتوضَّأ، وأحسن الوضوء، واركع ركعتين، واثْنِ على الله عزَّ وجل، وصلِّ على النبي ﷺ، ثم قل: **«لا إله إلا الله الحليمُ الكريم، [سبحان الله ربِّ العرشِ العظيم]**[7]**، الحمد لله ربِّ العالمين.**

---

(١) في (ج): معذبنا.
(٢) هكذا في الأصلين.
(٣) في (ج): اللهم أشكو إليك.
(٤) في (ج): أعوذ بنور وجهك الكريم.
(٥) في (ج): أشرقت.
(٦) أورده ابن هشام في السيرة ١/ ٤٢٠، وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٣٨): رواه الطبراني، وفيه ابن إسحاق، وهو مدلِّس ثقة، وبقية رجاله ثقات.
(٧) في الأصل: «لا إله إلا الله العلي العظيم». ولفظه في (ج): «لا إله إلا الله الحليم الكريم العلي العظيم. سبحان الله رب العرش الكريم...». والمثبتَ من المصدرين الموثقين.

اللهم إني أسألك موجباتِ رحمتِكَ، وعزائمَ مغفرتِكَ، والغنيمةَ من كلِّ بِرّ، والسلامةَ من كلِّ إثم، اللهم لا تَدَعْ لي ذنباً إلا غفرتَه، ولا هَمّاً إلا فرَّجتَهُ، ولا حاجةً هي لك فيها رضاً إلا قضيتَها يا أرحم الراحمين»[1].

و. . . . .[2]: **«اللهم إني أسألك وأتوجَّه إليك بنبيِّنا محمد ﷺ نبيِّ الرحمة، يا محمد إني أتوجَّه بك إلى ربِّي وربِّك عزَّ وجل فيقضي لي حاجتي»**[3]. ويذكر حاجته.

وروي أن السلف كانوا يستنجحون حوائجهم بركعتين يصليهما ثم

---

(١) قوله ﷺ: «من كانت له إلى الله حاجة، أو إلى أحد من بني آدم، فليتوضأ، فليحسن الوضوء، ثم ليصلِّ ركعتين، ثم ليُثْنِ على الله، وليصلِّ على النبي ﷺ، ثم ليقل: لا إله إلا الله الحليم الكريم. . .» رواه الترمذي في سننه، أبواب الصلاة (كتاب الوتر)، ما جاء في صلاة الحاجة ٢/ ٣٤٤ رقم ٤٧٩ وقال: حديث غريب، وفي إسناده مقال. وأورده الألباني في ضعيف سنن الترمذي ص ٥٢ رقم ٧٣ وقال: ضعيف جداً. وابن ماجه في سننه، كتاب إقامة الصلاة، باب ماجاء في صلاة الحاجة ١/ ٤٤١ رقم ١٣٨٤. وأورده الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه ص ١٠٢ ـ ١٠٣ رقم ٢٩٣. وقال: ضعيف جداً. وآخره في (ج): «ولا حاجة هي لك رضى ولي فيها صلاحاً [هكذا] إلا قضيتها. . .».

(٢) كلمتان بالحمرة لم تظهرا في التصوير.

(٣) هكذا أورد لفظه المصنف كما في النسخة (أ)، بينما لم يورد الحديث كله صاحب النسخة (ج). وهو عند الترمذي ـ وقريب منه عند ابن ماجه ـ: عن عثمان بن حنيف: أن رجلاً ضرير البصر أتى النبيَّ ﷺ فقال: ادعُ الله أن يعافيني. قال: «إن شئتَ دعوتُ، وإن شئتَ صبرتَ فهو خيرٌ لك». قال: فادعُه. قال: فأمره أن يتوضأ فيُحسن وضوءه، ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك وأتوجَّه إليك بنبيِّك محمد نبيِّ الرحمة، إني توجَّهتُ بك إلى ربِّي في حاجتي هذه لتُقضىٰ لي، اللهم فشفِّعه فيَّ». رواه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، الباب ١١٩ (٥/ ٥٦٩) رقم ٣٥٧٨ وقال: حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وابن ماجه في سننه، كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في صلاة الحاجة ١/ ٤٤١ رقم ١٣٨٥. وأورده الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ١/ ٢٣٢ رقم ١١٣٧. كما رواه ابن خزيمة في صحيحه ٢/ ٢٢٥ رقم ١٢١٩ وذكر محققه أن إسناده صحيح.

يقول[1]: اللهم بك أستفتح وبك أستنجح، وإليك بنبيِّك محمد ﷺ أتوجَّه[2]. اللهم ذَلِّلْ لي صعوبة أمري، وسهِّلْ لي حُزونته[3]، وسهِّلْ لي من الخير أكثر مما أرجو[4]، واصرف عني من الشرِّ أكثر مما أخاف.

[الاستخارة]

وإذا أردت أمراً فاستخر فيه الله تعالى، وصلِّ ركعتين من غير الفريضة، ثم قل: «**اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تَقْدِرُ ولا أَقْدِر، وتَعْلَم ولا أَعلم، وأنت علاّم الغيوب. اللهم إن كنتَ تعلمُ أن هذا الأمر خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ـ أو قال: عاجلِ أمري وآجلهِ ـ فاقْدُرْهُ لي ويسِّرْهُ لي ثم بارك لي فيه، وإن كنتَ تعلمُ أن هذا الأمرَ شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ـ أو قال في عاجل أمري وآجله ـ فاصْرِفْهُ عني واصرفني عنه، واقْدُرْ لي الخير حيث كان، ثم رضِّني به**»[5]. وتسمِّي حاجتك.

[أولياء الله]

وليكن همَّك في هذه الدنيا التقرُّبُ إلى ربِّك الكريم، وطلبُ فضله العظيم، والاجتهادُ في الدخول في أوليائه الذين يحبُّهم ويحبُّونه، ويرضىٰ عنهم ويرضون عنه، الذين اختارهم لنفسه، وأكرمهم بولايته،

(١) هكذا وردت الجملة في النسختين. وفي (أ): «... يصليها...».

(٢) من رقم الهامش السابق حتى هنا لم يرد في (جـ).

(٣) أمر حَزْن: صعب. ولم ترد الجملة في (جـ).

(٤) في (جـ): أرجوه.

(٥) رواه البخاري ـ وأثبتُّه من لفظه ـ كتاب التهجد، باب ماجاء في التطوع مثنى مثنى ٢/ ٥١، والترمذي في سننه، أبواب الصلاة (كتاب الوتر)، ماجاء في صلاة الاستخارة ٢/ ٣٤٥ رقم ٤٨٠ وقال: حسن صحيح غريب.

وأوقفهم على بابه، وشغلهم به[1]، وعلَّق قلوبهم بمحبَّتهِ، وشغلَ ألسنتهم[2] بذكره، وجوارحهم بطاعته، لا يلتفتون إلى ما سواه، من دنيا ولا غيرها.

روينا عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه حين حضره الموتُ جعل يغشىٰ عليه، ثم يُفيق فيقول: اخنقني خَنْقَك، فوعزَّتك وجلالك إنك لتعلم أن قلبي يحبُّك[3].

ثم قال: انظروا هل أصبحنا؟

فأُتي في بعض ذلك فقيل له: نعم.

فقال: اللهم إني أعوذ بك من ليلةٍ صباحُها إلى النار.

ثم قال: مرحباً بالموت، زائرٌ مُغِبٌّ[4]، حبيبٌ جاء على فاقة. اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحبُّ البقاء في الدنيا لغرسِ الأشجار ولا لكري الأنهار[5]، ولكن لظمأ الهواجر وقيام الليل في الشتاء[6]، ومزاحمة العلماء بالرُّكب عند حِلَق الذِّكر[7].

فبكى الحارث بن عميرة[8]، فقال له: ما يبكيك؟

---

(١) في (أ): وألزمهم بولايته ووفقهم على بابه. وفي (ج): وأكرمهم بولايته وأوقفهم على بابه وأشغلهم به.

(٢) في (ج): وعلق قلوبهم بحبه وأشغل ألسنتهم.

(٣) في (ج): أني أحبك.

(٤) أي قليل الزيارة. وفي (ج): حبيب مغيب جاء على فاقة.

(٥) في (ج): لجري الأنهار.

(٦) في (ج): ليل الشتاء.

(٧) حتى هنا أورده ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين رقم ١٢٧، وأحمد في الزهد ٢/١١٦، وأبو نعيم في الحلية ١/٢٣٩، وابن الجوزي في صفة الصفوة ١/٥٠١، والغزالي في إحياء علوم الدين ٤/٦٩٨.

(٨) هو يزيد بن عَميرة الزبيدي السكسكي الشامي الحمصي. قال البخاري: وقال بعضهم: الحارث بن عميرة، ولا يصح. من كبار التابعين. شامي ثقة، وكان من=

قال: والله ما أبكي لقرابةٍ بيني وبينك، ولا لدنيا كنتُ أصيبُها منك، ولكن كنتُ أصيبُ منك علماً، فأخاف أن ينقطع.

قال: فلا تبكِ، فإنه من يُرِدِ العلمَ أتاه كما أُتي إبراهيمُ خليلُ الرحمن، وليس ثمَّ يومئذ علم ولا إيمان[1].

[جــوف الليــل]

واعلم رحمك الله، أن هذه الدنيا سوقُ متجرِ الأبرار، وحَلَبةُ السباق بين الكرام الأخيار، ومزدرعُ التقوى ليوم القرار[2]، ومحلُّ تحصيل الزاد للسفر الذي ليس كالأسفار.

فبادر رحمك الله قبل فوات إمكانِ البِدار[3]، واغتنم أنفاسك العظيمة المقدار. واذْرِ[4] من دموعك على ما سلف من تفريطك، فإن القطرة من الدموع من خشية الله تعالى تطفىء البحورَ من النار[5].

وتيقَّظْ في ساعات الأسحار عند نزول الجبار، وأَحْضِرْ بقلبك[6] قول العزيز الغفار: «هل من سائلٍ فأعطيه؟ هل من داعٍ فأستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفرَ له؟»[7].

= رؤوس أصحاب معاذ. روى عن جمع من الصحابة، منهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه. تهذيب الكمال ٣٢/٢١٧.

(١) في (ج): فإنه من يرد العلم آتاه الله كما آتىٰ إبراهيم... ولم يكن ثمَّ يومئذ...

(٢) في (ج):.. متجر الأبرار، ومجلب السابقين الأخيار، ومزرع النفوس ليوم القراء. وازدرع بمعنى زرع.

(٣) في (أ) البذار. وبالدال مصدر بادر، بمعنى أسرع.

(٤) في (ج): وابذر.

(٥) ورد هذا القول عن فرقد السبخي، وخالد بن معدان.. ينظر الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا، الرقمان ١١، ١٥.

(٦) في (ج): واستيقظ... واستحضر في قلبك.

(٧) قال رسول الله ﷺ: «ينزلُ ربُّنا تبارك وتعالى كلَّ ليلةٍ إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيبَ له؟ ومن يسألني فأعطيه؟ ومن يستغفرني فأغفر له؟» رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، =

قل: نعم يا رب! أنا السائل المحتاج.

أنا الفقير الضعيف.

أنا الكسير الذليل.

أنا الداعي الراجي.

أنا المستغفر المذنب.

أنا المقرُّ المعترف.

يا صاحب الصدقة ها أنذا! ارحم ضعفي وكبرَ سنِّي[1].

ارحم فقري وفاقتي وحاجتي ومسكنتي.

يا كثير الخير، يا دائم المعروف، لا تخيِّبْ حُسْنَ ظنِّي بك، ولا تحرمني سعةَ معروفك، ولا تطردني عن بابك، ولا تُخرجني من أحبابك.

أسألك من فضلك العظيم، فإنك قلت وقولُك الحقُّ ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾[2].

إلهي! ما أمرتني أسألك إلا وأنت تريد أن تعطيني!

ولا دللتني عليك إلا وأنت تريد أن تهديني!

ولا أمرتني بدعائك[3] إلا وأنت تريد أن تجيبني!

أسألك من فضلك أن تجعلني من الذين أنعمتَ عليهم من

= باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه ٢/ ١٧٥. والترمذي في جامعه، كتاب الوتر (أبواب الصلاة) ٢/ ٣٠٧ رقم ٤٤٦ وقال: حديث حسن صحيح.

(١) في (أ): أنا السائل المحتاج، الفقير الضعيف الكبير... المذنب المقر... ارحم ضعفي وغربتي.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٢.

(٣) في (ج): أن أدعوك.

النبيين والصدِّيقينَ والشهداءِ والصالحين.

وأن تجعلني من الذين تحبُّهم ويحبُّونك ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[١].

ومن الأئمةِ الذين يهتدون[٢] بأمرك.

وارزقنا فعلَ الخيرات، وإقامَ الصلاة، وإيتاءَ الزكاة.

واجعلنا من العابدين لك، ومن الذين يسارعون في الخيرات، ويدعونَك رَغَباً ورَهَباً.

واجعلنا لك من الخاشعين، ومن الذين يطيعونك، ويطيعون رسولك، ويخشونك ويتقونك[٣]. واجعلنا من الفائزين.

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[٤].

﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[٥].

ربِّ أنت أصلحتَ الصالحين، وفضَّلتَ الصدِّيقين، وسبَّقتَ السابقين، وهديت المهتدين[٦]، وقرَّبتَ المقرّبين. تفضَّلتَ عليهم، ثم ثبَّتهم[٧]، ومنحتهم، ثم مدحتهم.

ولولاك[٨] ما وصلوا إليك، ولولا إحسانك ما فازوا لديك[٩].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٢) في (ج): يهدون.

(٣) في (أ): ونخشاك ونتقيك.

(٤) سورة النمل، الآية: ١٩.

(٥) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.

(٦) لم ترد هذه الجملة في (أ).

(٧) في (أ): ثم أثنيت عليهم.

(٨) في (أ): لولا.

(٩) في (ج): إليك أسألك.

فأسألك بوجهك الكريم، ومَنِّكَ القديم، وفضلك العظيم، أن تتفضَّل علينا بما تفضَّلتَ به عليهم، وتُصلحنا بما[1] أصلحتهم، وتمنحنا كما منحتَهم، وتعطينا كما أعطيتهم، وتجود علينا بما جُدْتَ به عليهم[2].

يا رب!

دعوتنا إلى دارك دارِ السلام، فاهدنا إلى الصراط المستقيم لنجيب دعوتك، فإننا لا نستطيع إجابتك إلا بهدايتك، ولا نصل إلى دعوتك إلا بعنايتك[3].

إلهي!!

عممتَ بدعوتك، وخصصتَ من شئت بهدايتك[4]، فاجعلنا من خاصَّتك، ومُنَّ علينا بالتوفيق لإجابتك، وأدخلنا في أهل ولايتك.

يا رب!

أمرتنا بما لا نقدرُ على فعله إلا بك[5]، ونهيتنا عمّا لا نقدرُ على تركه إلا بتوفيقك[6]، ورغَّبتنا فيما لا ننالُه إلا بفضلك، وحذَّرتنا عمّا لا نَسْلَمُ منه إلا بجودك وكرمك.

اللهم فوفِّقنا لامتثال أمرك واجتناب زجرك، وأعطنا[7] ما رغَّبتنا فيه، وجنِّبْنا ما حذَّرتناه.

اللهم إنك سألتنا من أنفسِنا ما لا نَقْدِرُ عليه إلا بك، اللهم فخذ لنا منها ما ترضى به عنا.

---

(١) في (ج): كما.

(٢) في (ج): كما جدت عليهم.

(٣) في (ج): بإعانتك.

(٤) في (أ): وخصصت بعنايتك من شئت.

(٥) في (ج): عليه إلا بك.

(٦) في (ج): بعصمتك.

(٧) في (أ): وأعطيت.

اللهم إنك أخذتَ بقلوبنا ونواصينا فلم تُملكنا شيئاً منها، فإذا فعلتَ ذلك بهما فكن أنت وليَّهما. واهدنا إلى سواء السبيل[١].

قال أبو عبد الله النُباجي: سمعت بالنِّباج[٢] صوتاً بالليل حزيناً قلقاً ينادي: يا حبيبَ من يُحبَّبُ إليه، ويا قرَّةَ عين من لاذ به وانقطع إليه[٣]. يا سيدي ومولاي، أغلقتِ الملوكُ أبوابها، ووقفت[٤] عليها حُجَّابها، وخلا كلُّ حبيبٍ بحبيبه، وقلوبُ العارفين تأبىٰ إلا حُبَّك والأُنسَ بك، وإني قد جئتُكَ في هذه الليلة من غير إدلالٍ بعمل، ولا استحقاق لموهبة، وإني أسألك أن تتفضَّل عليَّ ولا تحرمني في هذه الليلة طيبَ مناجاتك، وجزيل العطية من جزيل مجازاتك.

فسألتُ عن ذلك، فأُخبرتُ أنها سلامةُ السوداء، تعبدُ الله على التجريد[٥].

وعن إسماعيل بن أبي خالد[٦] قال:

كان عندنا باليمن[٧] فتى مسرف على نفسه، قليلُ الطاعة، وكان ذا جمال ومال، وكان اسمُه سهلاً[٨]. فرأى ليلةً في منامه كأنَّ جارية أتته وعليها ثوبٌ من لؤلؤ[٩] تتثنى أطرافه، وبيدها كتاب من حرير أخضر مكتوب فيه بالذهب، فأتته به فقالت: يا أخي اقرأ لي هذا الكتاب.

---

(١) في (ج): .. فعلت ذلك بها... وليها واهدنا سواء السبيل.

(٢) النِّباج: منزل الحجاج بالبصرة.

(٣) «وانقطع إليه» لم ترد في (أ).

(٤) في (أ): واقفت.

(٥) أي على الإخلاص والتحقيق.

(٦) لعله إسماعيل بن أبي خالد البجلي الأحمسي الكوفي الحافظ. أحد أعلام الحديث. كان صالحاً ثبتاً حجة. ت ١٤٥هـ. العبر في خبر من غبر ١٥٦/١.

(٧) في (ج): با.

(٨) في (ج): سهيل.

(٩) في (ج): من حرير أخضر!

فدفعتُهُ إليه، فإذا فيه مكتوب:

أَسَهْلُ مَنْ صاغها الرحمنُ في غرفٍ ... من مِسْكةٍ عُجنت من ماءِ تشرينِ[1]

إلى الذي حبُّه في القلب محتبسٌ ... وقلبُه عنه في لهو وتفتينِ[2]

أسهلُ ماذا فقد أورثتني حَزَناً ... كم عنك ما لا أحبُّ الدهرُ يأتيني[3]

أليس تشتاقُ أنْ تلهو على فُرُش ... موضونةٍ مع حورِ خُردٍ عِيْنِ[4]

قال: فانتبه من نومه فزعاً مذعوراً[5]، وترك ما كان عليه من البطالة، ولزِمَ العبادة[6] وتنسَّك أحسن نُسك، حتى مات على ذلك، رحمه الله تعالى.

وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال:

رأيتُ أبي رضي الله عنه وقد جُنَّ عليه الليلُ بسواده، قابضاً على لحيته بيمينه، يبكي بعبرته ويندب بزفرته وهو يقول:

إلهي، وسيدي، وخالقي، ورازقي، ومحبِّي، وممتنِّي، وباعثي، ووارثي، ما أنا؟ وما قَدْري، وما خطري عندك حتى تقصد قصدي بعقوبتك، وتنحو نحوي بسخطك؟ تريدُ عذابي؟! فوعزَّتك وجلالك ومجدك وإحسانك ما تزيدُ في ملكك حسناتي، ولا تُشينه سيئاتي، ولا

---

(١) في (ج):
أسهل من صاغها الرحمن في حلل سن ... مسك عجينه من ماء تشريني
والغرف: جمع غرفة، وهي العُلِّيَّة. والمِسْكة: القطعة من المسك.

(٢) في (ج): في لهو وتسفين. وقلبه في تفتين عنه: أي في انصراف. والتسفين: من سفنت الريح إذاهبَّت على وجه الأرض.

(٣) في (ج):
أسهل فقد أورثتني حزناً كم ... عندك ماذا أحب الدهر تأتيني

(٤) في (ج): أليس يشاق... مع حوار...
وموضونة بمعنى منسوجة من ذهب. والخرد العين: الأبكار الحسناوات العين.

(٥) في (ج): مرعوباً.

(٦) «لزم العبادة» لم ترد في (ج).

ينقصُ خزائنَك غناي، ولا يزيدُ فيها فقري.

اللهم ثَبِّتْ رجاءك في قلبي حتى لا أرجو أحداً سواك، يا من تحبَّبَ إلينا بآلائه، وتعرَّف إلينا بنعمائه، وكان لي في الأمور عند مسرَّتي، ارحم اليوم عبرتي(١).

وكان بُهيم العجلي(٢) يقول في سجوده في آخر الليل عند فراغه من تَهجُّده:

إلهي! مسكينُك يحبُّ الاتصال بطاعتك، فأعِنْهُ على ذلك بتوفيقك أيها الكريم.

إلهي! مسكينُك كثيرُ الرجاء لخيرك، فلا تحرمه ذلك.

إلهي! مسكينُك قُطع على أعرابية بطريقَ منىً فقالت: يا ربِّ، أخذتَ وأعطيتَ، وأنعمتَ وسلبتَ، وكلٌّ ذلك عدلٌ وفضل.

والذي عظم على الخلائق أمرك لا بسطتُ لساني بمسألةِ غيرِك، ولا بذلتُ رغبتي إلا إليك.

يا قرَّة عينِ السائلين، أعنِّي بجودٍ منك أتبحبحُ في فراديس نعمه،

---

(١) هنا تنتهي النسخة (ج)، وكتب الناسخ في آخرها: آخر ما وجدت!
وهناك اختلاف في ألفاظ عديدة في هذا الدعاء بين النسخة (أ) وهذه، آثرت إثباتها للأمانة العلمية. وما أثبت في المتن هو من (أ)، أما في (ج) فهو كما يلي: . . . وقد جن عليه الليل، قابضاً على لحيته بيمينه، يبكي ويقول: إلهي وسيدي ورازقي وباعثي ووارثي، ما أنا وما قدري وما خطري عندك حتى أقصد غيرك؟ تريد عذابي؟ فوعزتك وجلالك ما تزيد في ملكك حسناتي، وما تضرك سيئاتي، ولا ينقص خزائنك غنائي، ولا يزيد فيها فقري. اللهم اقذف في قلبي رجاءك حتى لا أرجو أحداً سواك، يا من تحبب إلينا في آلائه، وكان في الأمور عنه، ارحم اليوم غربتي. اهـ.

(٢) يكنى أبا بكر. كان رجلاً طوالاً، شديد الأدمة. إذا رأيته رأيت رجلاً حزيناً. وكان يزفر الزفرة فتسمع زفيره. وبكى حتى سقطت أشفار عينيه. صفة الصفوة ٣/ ١٧٩.

وأتقلَّبُ في راووق[1] نصرته[2]. احملني من الرحلة[3]، واغْنِني من العَيْلة[4]، وأسبلْ عليَّ سترك الذي لا تَخْرُقه الرماح، ولا تُزيله الرياح، إنك سميع الدعاء.

وقيل: كان الجُنيد ليلة العيد في البريَّة، فلمّا كان وقت السَّحَر، إذا هو بشاب ملتف في عباءة وهو يبكي ويقول:

بحرمةِ غربتي كم ذا الصدودُ   ألاَ تعطفْ عليَّ ألا تَجودُ
سرورُ العيدِ قد عمَّ النواحي   وحزني في ازديادٍ ما يَبيدُ
فإن كنتُ اقترفتُ خِلالَ سوءٍ   فعذري في الهوىٰ أن لا أعودُ

قال الحسن بن محمد بن إسحاق: رأيتُ يحيى بن معاذ الرازي[5] في يوم عيدٍ يناجي ربَّه وهو يقول:

إلهي، لم أكن لحقِّك راعياً، لم أكن لغيرك داعياً.

إلهي، لم أكن إلى الخيرات مسارعاً، لم أكن لباب البيعة قارعاً.

إلهي، إن لم أكن عن الغِيْبة صامتاً، لم أكن لأنبيائك وأصفيائك شامتاً[6].

إلهي، من بابك لا أزول، لأني بغيرك لا أقول.

إلهي، من بابك لا أبرح، لأني بغيرك لا أفرح.

---

(١) الراووق: المصفاة.

(٢) هكذا في الأصل. وقد تكون: نَصيرته. والنصيرة: العطية.

(٣) يعني أعنِّي على رحلة الحياة من الدنيا إلى الآخرة.

(٤) العَيْلة: الفقر والحاجَة.

(٥) هو أبو زكريا يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي. نزيل الري، ثم انتقل إلى نيسابور فسكنها وبها مات. وكان زاهداً عابداً. سمع من إسحاق بن إبراهيم الرازي وآخرين. من أقواله: يا ابن آدم لا يزال دينك متمزقاً ما دام قلبك بحب الدنيا متعلقاً. ت ٢٥٨هـ. صفة الصفوة ٤/ ٩٠.

(٦) في الأصل (أ): ساميا!

إلهي، عملي كسراب، وقلبي من التقوى خراب، وذنوبي أكثر من التراب، وأنت أولى بالعفو والصفح، فاغفر لنا وارحمنا بجودك وطَوْلك[1] يا ذا الجلال والإكرام.

آخر الوصية

دعا رجل فقال:

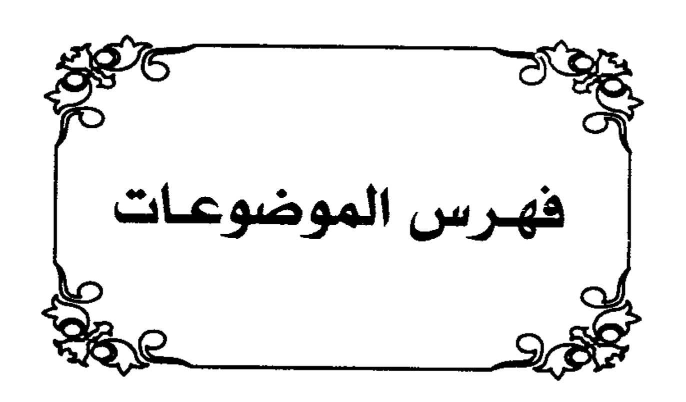
اللهم إنك تعلم على إساءتي وظلمي وإسرافي أني لم أجعل لك ولداً، ولا نداً، ولا صاحبةً، ولا كفواً. فإن تعذِّب فبعدلك، وإن تعفُ فإنك أنت العزيز الحكيم. يا من لا يشغله سمع عن سمع.

آخرها

الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

---

(١) الطَّوْل: الفضل والغنى واليسر.



فهرس الموضوعات